الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي العقيد آكلي محند أو لحاج بالبويرة
معهد اللغات و الأدب العربي
قسم اللغة العربية وآدابها

الحكمة في الشعر الشعبي
عبد الرحمن المجذوب
أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة

ليسانس

إعداد الطالبتين: **إشراف**
عكوش حياة **بحري بشير الأستاذ:**
بوعلي فاطمة

السنة الجامعية:2010-2011

إهـــــداء

أروع ما قد يكون في العمر الإخاء و لكن الأروع أن يزهو بالوفاء
وأروع ما في القلب النبضات ولكن الأروع أن تنبض بالحب والنقاء
أهدي ثمرة هذا العمل إلى:
أغلى الناس وأحبهم إلى قلبي،إلى الذي تمنيت لو كان معي ليشهد تخرجي إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله
التي غمرتني بحنانها وحبها الفياض و التي سهرت الليالي من أجل أن تمنحني الراحة والأمان والتي لولاها لما استطعت النجاح إلى صاحبة أروع قلب في الوجود أمي الحبيبة.
إلى إخوتي:رشيد،عبد القادر،وبالأخص محمد الذي أفادني كثيرا ولم يبخل علي بنصائحه ومعلوماته التي كانت في القمة.
إلى أختي فتيحة وزوجها عبد النور وأولادهم:محمد،خالد والبرعمة نسرين.
إلى الغاليين على قلبي أولاد وبنات خالاتي
إلى كل زميلاتي خاصة لويزة

إلى كل الذي يعرفني ويحبني دون استثناء.
وتحية تقدير واحترام للأستاذ المشرف على هذا العمل.
وإهدائي الخاص والخاص جدا إلى رفيقة دربي ومنبع أماني وسر وجودي حبيبتي الغالية على قلبي فاطمة.

حيـــاة

إهـــداء

الحمد لله الذي هدانا وما كنا سنهتدي لولا أن هدانا الله
أهدي ثمرة جهدي إلى:
تاج رأسي إلى الذي جعلته قدوتي في طلب العلم والذي غرسني في روضة الإيمان وسقاني من العلم والدي الغالي.
والتي تفوح عطاءا ومحبة وحنانا إلى التي تلقيت منها المبادئ الأولى للحياة والتي ضحت بأحلامها من أجل بناء حلمي والدتي الحنون.
إلى إخوتي الذين وقفوا دائما بجانبي:رشيد،محمد،طيب،كمال والكتكوت حكيم.
إلى من كان سندنا الدائم ولم يبخل علينا بنصائحه الرائعة إلى صاحب أروع قلب شقيق صديقتي موح.
إلى أصدقائي الذين عشت معهم حلو الحياة ومرها،إلى كل من يحملهم قلبي ولم يكتبهم قلمي،وأحببتهم في الله فأحبوني فيه إلى صديقتي الويزة.والأهل والأقارب كبيرهم وصغيرهم.
إلى الأستاذ المشرف على إنجاز هذا العمل.
إهدائي الخاص والخالص إلى من ملكت روحي وسكنت قلبي إلى توأم روحي غاليتي وأختي وشريكتي في هذا العمل صديقتي الوفية حويت.

فـاطـمـة

المقـــدمـــــة

تلعب الأمثال والحكم دورا كبيرا في سيرورة الأدب بوصف المحاكاة القولية للوقائع الحياتية الفكرية،فالحركة الأدبية قديما وحديثا نجدها ميالة للإيجاز والغموض

والإيحاء والرموز والصور،والحكم وبخاصة الشعبية منها وبالأخص المنقولة عبر الأقوال الشعرية تبقى راسخة في الأذهان لوقعها الموسيقي و الإيقاعي ولأثرها الدلالي العميق ونلمس هذا جليا في الرباعيات الشعبية المعروفة للشاعر الشعبي الذائع الصيت والمسمى بسيدي عبد الرحمان المجذوب،وهذا الانتشار الواسع لهذه الرباعية بين مدى تأثيرها في الفرد الشعبي العربي وبخاصة المغربي وهذا ما جعلنا نحاول الكشف عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء هذا اللإنتشار الرهيب لهذه المقطوعة الشعرية الرباعية،فكان بحثنا لتقصي الحكمة الكامنة في هذه الرباعية وموضوعاتها وتأثيرها في الناس.

ومن الأسباب التي دفعتنا لإختيارهذا البحث:هي البحث في الكوامن الحقيقية التي ينبعث منها القول الحكمي لدى الفرد،وماهي الظواهر المستترة وراء القول ذو الطابع الحكمي،كما تطرقنا في الفصل الثاني إلى البناء الفكري للحكمة في الشعر الشعبي الجزائري،وكذا الأسباب العامة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري وحاولنا أن نسند ذلك كله إلى قلة معارفنا وعدم تجربتنا في البحث الأكاديمي.

لقد فرضت علينا طبيعة البحث اعتماد المنهج التاريخي في الفصل الأول والوصفي التحليلي لأنها الأنسب لقراءة موضوعنا الحكمة الشعبية عند شاعرنا الذي عبر بصدق عن هموم وآلام وآمال الفرد الشعبي البسيط.

وقد التزمنا في ذلك بخطة تتكون من ثلاث فصول أجملنا فيها كل النتائج المتحصل عليها في البحث المتواضع الذي حاولنا فيه تقصي حقيقة القول الحكمي الشعبي ومدى بلوغه المرامي التداولية التي رمي إليها في كثير من الأحيان.

وقد تناولنا في الفصل الأول:الذي عنوناه بماهية الحكمة حاولنا فيه تبيين أهم تعاريف الحكمة وخصائصها وأنواعها وما إلى ذلك مما يخص التجربة الإنسانية التي تلهب القريحة الحكمية الكامنة في الذات الحكمية.وقسمناه إلى مبحثين الأول:وعنوانه ماهية الحكمة والثاني الحكمة في الشعر الشعبي وموضوعاتها الحكمية في الشعر الشعبي أما الفصل الثاني:الذي عنوناه:البناء الفكري للحكمة في الشعر الشعبي الجزائري،وفرقناه إلى مبحثين الأول تكلمنا فيه عن الأسباب العامة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري وأسبابها الفكرية والنفسية.أما الفصل الثالث:الذي عنوناه ب:نماذج تطبيقية من رباعيات الشيخ المجذوب،المبحث الأول:تعريفه ورحلاته والمبحث الثاني:موضوعات الحكمة.

أما عن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها من أهمها:

المصدر الأساسي الذي اعتمدناه لأشعار رباعيات الشيخ عبد الرحمان المجذوب هو:كتاب عبد الرحمان الرباحي من الرباعيات المستوية إلى الشاعر الشعبي المغربي عبدالرحمان المجذوب،بالإضافة إلى نور الدين عبد القادر الذي جمع الرباعيات في كتاب تحت عنوان القول المأثور من كلام الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب.

كما استفدنا من كتابي الدكتور العربي دحو،الشعر الشعبي ودورة الثورة الكبرى وكذا كتاب بعنوان:بعض النماذج الوطنية في الشعر الشعبي الجزائري الأوراسي خلال الثورة التحريرية،ديوان المطبوعات الجامعية.

بالإضافة إلى جملة من المراجع المتنوعة منها كتاب الباحثين في الأدب الشعبي جلول يلس -أمقران الخفتاوي- المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ولا يسعنا في الختام إلا أن نتقدم بالشكرر الجزيل إلى أستاذنا الكريم الذي وجـهـنـا في هذا البحث وتفضل علينا باقتراحات وتوجيهات بنائية تخدمنا في البحث.

فلا يكلف الله نفسا إلى وسعها والحمد لله الذي وهب لنا عقلا يتدبر في السماوات والأرض.

الفصل الأول

I- ماهية الحكمة

I) 1 -تعريف الحكمة(المثل، القول السائر)

I)2-خصائص و مميزات الحكمة

I)3-مكونات الحكمة

I)4- أنواع الحكمة

I)5- الحكمة عند العرب و تطورها عبر العصور

II)-الحكمة في الشعر الشعبي و موضوعاتها

II)1-الحكمة في الشعر الشعبي

II)2-موضوعات الحكمة في الشعر الشعبي

تمـــهـــيد:

تعتبر الأمثال والحكم الشعبية من أكثر فروع الثقافة اكتراثا وثراءا،وفي معظم الحالات يجسد المثل الشعبي تعبيرا عن نتاج تجربة شعبية طويلة ستلخص إلى عبرة وحكمة وتؤسس على هذه الخبرة ونصيحة على سلوك معين.

ومجموعة الأمثال والحكم الشعبية على تنافر بعضها البعض في كثير من الحالات تكون ملامح فكر شعبي ذي سمات ومعايير خاصة فهي إذن جزء مهم من ملامح الشعب وقسماته وأسلوب عيشه ومعتقده ومعاييره الأخلاقية.

والأمثال والحكم الشعبية العربية عموما والجزائرية خصوصا هي ليست مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية وإنما هي عمل كلامي يستحث قوة ما على التحرك إضافة إلى فن الحكمة الشعبية يؤثر في مسار الأمور وفي سلوك الإنسان فالمعنى والغاية يجتمعان في كل حكم العالم.

I- ماهية الحكمة

I)1- تعريف الحكمة:

لغة:

يقدم لنا ابن منظور تعريفا يحوي عناصر متعددة للحكمة بقوله أنها عرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والحكمة العدل ورجل حكيم شيخ مجرب. الحكمةعند ابن منظور"مفرد حكم وهي العلم بحقائق الاشياء واوصافها واحكامها على ماهي عليه بالاقوال فالاقوال الارادية المقتضى لسدادها صوابها ووضع الشيئ في موضعه وقد تكون مسكوتا عنها،أي حيث يقتضي النطق فالحكمة يتلفظ بها،فالنطق في موضعه حكمة والصمت في موضعه حكمة [1]

اصطلاحا:

من المعروف أن الحكم قد نالت خطوة عظمى من أمد بعيد لدى الشعوب حتىأنها انتشرت في جميع الأقطار المعصورة اذن « نتيجة تأمل وتفكير وتفنين للظواهر الاجتماعية بستخلصها العقل من حياة الناس،والغاية من هذه الفلسفة،هي عبرة تتمثل في الاستفادة من تجارب سابقة» [2] تكون بكلام موجز دقيق ليعبر بها الشخص عن حقيقة أو رأي أومبدأ للإنسان في سبيل هداية أوتقويم أو اعوجاج ضمن نطاق الحياة العملية والتصرف في حقلي الدين والدنيا وفي تعريف ثاني نجد « أنها خلاصة اختبارات شخصية قيلت نتيجة احتكاك صاحبها بالمجتمع أو عصارةوتمحيص للواقع الذي يعيش فيه.

فمن الممكن أن نفعل في النفس ما تعجز عنه النواهي جميعا، فحكمة واحدة قد تسيطر على عقل المرء تجعله من المبرزين في الحياة بفضل إرادته القوية وإيمانه بحكمه أو شعار سعي لتحقيقه.

منه نخرج بخلاصة أنها جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهة من جيل إلى جـيل

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب** ، دار الصادر بيروت/لبنان ، مجلد 11 ، ط3 ،

[2] ناصر صبار ، **محمد بالخير شاعر الحكمة والعرب**، دار الغرب للنشر والتوزيع ،

وهي جملة محكمة البناء يلقيه العبارة شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات، إذا تلخص الحكمة قصة عناء سابق وخبرة عابرة اختبرتها الجماعة فقد حظيت عند الناس بثقة تامة، لأنها تهتدي في حل مشكلة قائمة بخبرة مكتسبة وقد انتهت إلى عبر لا تنسى قد قيلت هذه العبرة في جملة موجزة قد تغني عن رواية قصة ما جرى[1].

الفرق بين الحكمة والمثل:

إن العناية و الاهتمام بالتراث الشعبي لا تأتي فقط من جمعه و الحفاظ عليه بل بنقله و ممارسته، واستخراج الكامن منه و الميت والحي على السواء وعرضه ومن بين قرائنا الذي مهما في الحياة الحكمة والمثل من خلال هذا سنوضح مدا ترابط واختلاف و الاتفاق بينها،هناك تداخل بين هذه الأشكال التعبيرية، لذلك وجدنا عددا من الدراسات حاولت التمييز بينهما و توضيح خصائص كل منها بمقارنتها بالأخرى، حيث يرى بعض الدارسون ان المثل اساسه التشبيه و ما يقع في حكمة من وجوه بلاغية فإذا لما وجدت عبارات تتفق مع المثل في الإيجاز و صوغ العبارة و تختلف عنه من حيث استعمالها لمعناها الحرفي و لا تعتمد بالتالي على التشبيه و على مايقع في حكمه من وجهة نظر بلاغية.

الحكمة فهدفها إصابة المعنى وترمي إلى التعليم و يكون إنتاجها وشيوعا بين لخاصة فهي تقوم على تجربة و تستدعي التأمل وهي أكثر قابلية للتعميم.

يشير **عبد الحميد بن هدوقة** في مقدمة مصنفة لأمثال جزائرية، إلى أن الفرد بين المثل من ناحية و الحمكة من ناحية اخرى يكمن أساسا من حيث الدلالة في الأبعاد الاجتماعية التي يعبر عنها القول، بالرغم من الارتباط و التلاحم هناك بعض الفرق.

فالحكمة تتضمن القول السائر موعظة أو نصيحة أو عبرة مثل قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:عمدت البلدان بحب الوطن،أو قوله:العلم ضالة المؤمن.

((1) تلي بن الشيخ،**منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**،المؤسسة الوطنية للكتاب،ص167

I 2-خصائص ومميزات الحكمة :

قد قسمت خصائص ومميزات هذا الفن الى ما يتعلق بالمعنى و مايتعلق بالمبنى.

-فيما يتعلق بالمعنى: أن هذا الفن يزخر بالاستعارات و التعابير المجازية عند بعض الحقائق الخلقية فتدعمها بذكر الأقوال المأثورة و الأشعار المشهورة [1]

- هي مواضيع مطروقة غير مبتكرة نابعة من تراث الإنسان الأبدي، فتؤلف خلاصة فلسفة عملية ومنهج عيش كريم.
- أما في ما يتعلق بالمبنى: فميزته الإيجاز والاقتضاب و التفنن بأساليب الطباق و الإيقاع و السجع فتصبح اللغة بذلك سهلة الفهم بليغة الاستئثار بالقلوب وسريعة الاستقرار في الذاكرة، بينما الاستدلالات المجردة تجمد الأذهان فتتدثر منها بسرعة [2]
- كانت حكم العرب منذ بداياتهم تمتاز بإصابة المعنى واستقامة الفكرة وملاحظة دقيقة و بصيرة ناقدة وتصلح معينا تنهل منه الدروس والعبر [3]

I)3 مكونات الحكمة:

باعتبار أن الحكمة ظهرت منذ القديم لدى الشعوب حنى أنها انتشرت في جميع الأقطار،ولذلك فإنها تتكون من مكونات أساسية لا تقوم إلا بها من أهمها:

أ- **المعرفة الواسعة العميقة:**

يشير هذا المكون إلى أن الحكيم لديه معرفة تتسم بالعمق الشمول والنظرة الشبكية إلى الأمور و يتضمن هذا المكون مكونات فرعية عديدة قوامها:

التعمق في البحث عن أصل وجوهر الأشياء ومعرفتها على حقيقتها و السعي إلى الوقوف على جوانب التكامل بين وجهات النظر المختلفة واكتشاف جوانب التفرد فيما بينها لإثراء المعرفة و النظرة الشخصية للفرد و التركيز على العناصر الجوهرية

(1) جزيف نعوم حجار،المنجد في الأمثال والحكم والفوائد اللغوية،دار المشرق،بيروت،ص1

(2) المرجع نفسه،ص2

(3) ناصر صبار،محمد بلخير شاعر الحكمة والحرب،3

في الموقف وإعطائها ما تستحقه من اهتمام

ب- الاستبصار بالذات:

إن قدرة الحكيم على الوعي بذاته والآخرين والأحداث وطبيعة العلاقة فيما بينهما جميعا من المكونات المحورية للحكمة بوصفها مقدمة منطقية للسلوك الحكيم، ومن بين العناصر النوعية التي تشكل هذا المكون المعرفة والوعي بنقاط الضعف الشخصية و آفاق النفس و السعي لمجاهدتها والتغلب عليها و الوعي بعواقب الأمور و تدبرها ووضعها نصب عينه.

ج- التوازن:

تعد القدرة على عمل موازنات بين المكونات و الجوانب المختلفة داخل الفرد من بين الملامح الرئيسية للحكمة والتي تتمثل في إحداث حالة من التوازن بين العقل و الوجدان و العقل و السلوك و الوجدان والسلوك و المصلحة للفرد و المصلحة العامة للمجتمع.

I)4- أنواع الحكمة

هناك نوعان من الحكمة،حكمة علمية نظرية وحكمة عملية وكل منهما تتصف بصفة معينة فالحكمة العلمية تعود إلى الإطلاع على بواطن الأشياء و الحكمة العملية تعود إلى فعل العدل والصواب وسنتطرق إلى هذين النوعين من أنواع الحكم كالآتي:

النوع الأول : حكمة علمية نظرية**:**

وهي التي يكون فيها الإطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقا وأمرا ، قدرا و شرعا.

النوع الثاني : حكمة عملية وهي وضع الشيء في موضعه**.**

* **فالحكمة النظرية** مرجعها إلى العلم والإدراك، و الحكمة العملية مرجعها إلى فعل العدل والصواب ويمكن خروج الحكمة عن هاذين المعنيين لأن كمال الإنسان في أمرين ، أن يعرف الحق لذاته

* ، وأن يعمل به وهذا العلم النافع والعمل الصالح.

---

(1) الموقع http://lmunbar ap-**islam.**com

I)5-الحكمة عند العرب وتطورها عبر العصور

الحكمة في العصر الجاهلي:

نستطيع القول أن الحكمة في هذا العصر هي ثمرة استمدها الحكيم العربي من تجارب الحياة اليومية وما يعانيه في ذاته ومجتمعه ،وهي بمثابة الدرس القويم الذي تلقنه إياه الأيام والليالي بحلوها ومرها بسرائها وضرائها،جميلها وقبيحها،وذلك لأن حياتهم القبلية كانت تحتاج إلى أناس يمتازون براحة العقل وعمق النظر ليفصلوا في المنازعات التي كثيرا ما تثور بينهم.

ومفاد حكمة الجاهليين أن الحياة ميدان بلاد وكرامة وأن الحق فيها للقوة وأن زينة المرء شرفه،فإذا تأملتها وجدتها في غالب الأحيان حكمة عملية ينصب اهتمامها على تنظيم الحياة البشرية في الدنيا وتقديم العون و النصح للناس لتنظيم أمورهم المعشية و الصحية.

فها هو ذا **الحارث بن كلذة** ينصح من أحاطوا بفراشه قبل وفاته يقول«لا تتزوجوا من النساء إلا شابة،ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها،ولا يعالجن أحدكم ما احتمل بدنه الداء،وعليكم بالنوة،أي القطران في كل شهر فإنها منبتة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم وإذا تغذى أحدكم فليتم على إثر غدائها وإذا تعشى فليحط أربعين خطو ة » (1)

ومن بين الحكماء في هذا العصر نجد **زهير بن أبي سلمى،عدي بن زيد،لبيد بن ربيعة**،وغيره فالحكمة البليغة التي وردت في أشعارهم،نأخذ على سبيل المثال قول **أكتم بن صيفي بن رياح** وهي عملية الاتجاه يقول:"مقتل الرجل بين فكيه،ويل لعالم أمر من

جاهل أن قول الحق لم يدع له صديقا،بتشابه الأمر إذا أقبل وإذا عرفه الكيس الأحمق حيلة من لا حيلة له الصبر تغضوا عن السير فإنه يجني الكثير[2]

---

[1] يسري سلامة،**الحكمة في شعر المتنبي**،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،ط1،الإسكندرية،ص20
[2] المرجع نفسه،ص20

ففي قول زهير بن أبي سلمى:

-ومن يك فضل فيجعل بفضله على قومه يستغن عنه و يذمم[1]

حكمة زهير وليدة العقل الهادئ الذي يفصل الأحكام في أسلوب تعليمي عام موجه إلى كل إنسان يريد أن يعيش جاهلية مثلا يسود فيها السلام.

و طبعة الحياة القبلية بطابعها على الحكمة الجاهلية و الواجب على العربي الوقوف بصلابة بجانب أخيه العربي نصرة الأخ ظالما أو مظلوما والدعوة إلى الشجاعة و حفظ العرض و الجود و حفظ الجار و التمسك بآداب الصدق.

ومن بين الآراء عن الحكمة نجد أحمد أمين في قوله «إن العرب في الجاهلية لم يعرفوا الحكمة عليه»[2]الفلسفية بل قد تكون لها فلسفية تتطلب بحثا منظما أو توظيفا للرأي و برهنة

وحنا الفاخوري:«اعتبرت الحكمة في العصر الجاهلي فلسفة البداوة تبتعد عن العمق وتفتح العقل على الحقائق الوجودية،في غير معرفة و ثقافة كاملة نحللها و نعللها» [3]

خلاصة ذلك« أن الحكمة الجاهلية سطحية فهي بذلك وليدة الدهر و تجاربه لا و وليد العلم الصحيح و التفكير العميق،و التأمل الطويل فجاءت في كثرتها من الحقائق البديهية والفكر المشترك،و مواقفه لحياة القبيلة في الصحراء ترشد البدوي إلى منافعه و تبعده عن مضاره»[4]

---

[1] إميل ناصف **من أروع ما قال الشعراء الحكماء**، دا ر الجيل،بيروت،ص42
[2] أحمد أمين فجر الإسلام،مكتبة النهضة المصرية،ج1،القاهرة،ص49
[3] حناالفاخوري،**الجديد في الأدب العربي**،دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر،ج4،بيروت،ص49.
[4] بطرس البستاني،**أدب أدباء العرب و الجاهلية صدر الإسلام**،دار هارون عبيد،بيروت،ج1،ص81

الحكمة في صدر الإسلام و العصر الأموي:

تغيرت كل المفاهيم بمجيء الإسلام لأنه رفع قيما و وضع أخرى،فنشطت

الحكمة بفضل تأثير القرآن الكريم و الأحاديث النبوية في نفوس الناس حيث نزل القرآن الكريم هدى و رحمة للعالمين فكان جامعا لكل المبادئ و القيم السامية و مخطط للمنهج السليم الذي ينبغي أن يسير عليه من يبغي السعادة في الدنيا و الآخرة،و داعيا للناس أن يهتدوا أو يحشدوا عقولهم.

يرى **الإمام الشافعي** أن الله عز وجل قد جمع في كتابه الحكمة في وجوه..[1]

1- ما أبانه بخلقه نصا مثل جمل فرائضه في أن عليهم الصلاة و الزكاة و الحج والصوم و أنه حرم الفواحش ما ظهر و ما بطن منها ونهى الزنا و الخمر وأكل الميتة و الدم و لحم الخنزير.

2- و منها ما أحكم فرضه بكتابه و بين كيف هو على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم.

ولسنا هنا بمقام الكلام عن القيم السامية التي أقر بها كتابنا المجيد فهذه الحكمة الإلهية نور يهدي السائرين وكانت سببا قويا و مباشرا في تطوير مدلول الحكمة الجاهلية وتنميتها و تخليصها من الأوجاس وشاعت هذه الحكم على ألسنة المسلمين لأنها تحتوي على إيجاز في اللفظ و المعنى و التنسيق في سهل حفظها في القلب و فهمها في العقل و ترديدها على اللسان بحسب مقتضيات الأحداث.

ونظرة سريعة على بعض هذه الحكم الإلهية الجليلة تبين لنا إلى أي أفق سام علت الحكمة في صدر الإسلام حتى أصبحت بحق الحقيقة العليا للتجربة البشرية،نذكر منها على سبيل المثال:

---

(1) يسري سلامة،**الحكمة في شعر المتنبي**،ص23

قال تعالى:«لن تنالوا البر حتى تتقوا مما تحبون»[1]

قال تعالى:«و عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم»[2]

قل تعالى:«كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة» [3]

وقال:«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» [4]

قال تعالى:«كل نفس ذائقة الموت» [5]

لم يترك القرآن الكريم شيئا من شؤون الدنيا إلا أتى فيه بالحكم القاطعة و تناول شؤون الآخرة تناولا شاملا.

وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعوا إلى تعلم الحكمة من أفواه الناس لأنها ثمرة تجربة إنسانية متجددة متغيرة فقال:«الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها و يبالي من أي وعاء مزجت» .

وكرر الرسول الكريم هذا المعنى كثيرا مفادها إلى تعلم الحكمة والاكتفاء بقائلها و من الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى:

قال النبي –ص-:«**ما أخلص عبد الله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة على قلبه ولسانه**»[6]

مثل عدد الصلوات و الزكاة ووقتها وغير ذلك من الفرائض التي أنزلت في كتابه.

3- ومنها ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه و ابتلى طاقتهم في اجتهاد كما ابتلى في غيرهم مما فرض عليهم.

هكذا قد فتح الإسلام الحنيف الآفاق لنمو الحكمة الجاهلية الواعية إلى التآخي و المودة و التآلف وتبدوا تلك الحكم التي تدعوا إلى الأخلاق الجاهلية النابعة من التطاحن و التنافس بين القبائل المتخاصمة إذا أصبح العرب بفضل الإسلام أمة واحدة و جسدا واحدا[7]

---

[7]محمد بالخير **شاعر الحكمة و الحرب**،ص12

وقد اشتهر في العصر الأول بالإسلام حكماء كثر من بينهم علي بن أبي طالب الحكيم كرم الله وجهه يقول:

فا أحسن الجود في الدنيا وفي الدين وأقبح البخل فيمن صمغ من طين

ما أحسن الدين والدنيا لا إذا اجتمعا لا بارك في الدنيا بلا دين

الإمام علي خير الدنيا مع مرها فاستخلص منها المواعظ و الدروس سجلها في حكم خالدة تصلح قوانين أخلاقية استمدت معانيها من الدين الإسلامي الذي بحث على الفضائل وقد أضفى عليها طابعا إنسانيا.

الحكمة في العصر العباسي:

تطورت تطورا كبيرا و خرجت من الطور الإسلامي إلى طور الفلسفة الاجتماعية الأخلاقية وذلك يفعل احتكاك العرب بفلسفة اليوناني و حكمة الهند و فاس.

إذ من أهم من اشتهر بالحكمة أبو تمام،المتنبي و أبو لعلاء المعري وغيرهم

-ورد في الحكمة في شعر المتنبي أوسع مدى وأغرز معنى،ما وردت على ألسن السابقين سعة مدارك المتنبي و معاشرته للملوك والبسطاء أن جل قصائد المتنبي تمثل الشعر العربي في قمة ازدهاره في القرن الهجري،وفي الوقت ذاته يمثل الفن الشعري العربي،وأخصبته التجارب المتنوعة،وغذته الثقافة الواسعة،وفتحت أمامه آفاق القول والحكمة.[1]

لا يتخلى المتنبي عن خصلة سجية في مطلع قصائدهم ألا وهي أنها تعويذات يفتحها بالحكم الخوالد، فإذا نسيت القصيدة، فلن ينسى مطلعها.

افتتح مثلا في إحدى قصائده بالحكمة التالية:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم[2]

أما **أبو لعلاء المعري** فيبدو في حكمه رجل فكر وفلسفة،يحاول أن يعمل العقل في كل شيء فيجعله محلا واسعا في مذهبه الفكري حيث يقول:

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلا ولا صوف على جسد

---

[1] محمد الفارسي، **الأدب العربي ونصوص المتنبي**،مكتبة الرشاد،ج6،ص07

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحكمة في عصر الانحطاط:

فقد انحط الأدب العربي بشكل عام، ولم يبقى الشعراء كالمتنبي وابن الرومي، وأبي تمام وغيرهم من الشعراء العرب الأقدار واتجه الشعر نحو الصنعة و النظم، فازدهر الشعر التعليمي لأول مرة بقصائد نوارا جير مستقلة، لعل أبرز قصيدة حكمية في هذا العصر لأمية ابن الوردي، يمكن اعتبارها مرجع أخلاقي، إذ نجده يقول:

كتب الموت على الحلق فل من جيش واقي من دول[1]

ويقول أيضا:

أطلب العلم ولا تكسل فما بعد الخير على أهل الكسل
واترك الدنيا فمن أدائمات تخفض العالي وتعلى من سفل
ولا تقل أصلي فصلي أبدا إنما أصل الفتى ما قد حصل[2]

تتضمن لامية ابن الوردي آداب النفس وآداب المعاملة،وهو غير قائم على نظرة جديدة إلى حقيقة الأشياء من غير تمويه و لا تزييف،فالحياة قصيرة مهما طالت والموت أمر محتوم على كل إنسان،فسبيل العاقل أن ينمي عناصر الشخصية فيه بتحصيل العلم و توسيع نطاق المعرفة و السعي في طلب العلم.[3]

الحكمة في عصر النهضة:

نضجت الحكمة نضوجا كبيرا في عصر النهضة وذلك نظرا لتقدم العلوم فيه وتطور الفكر الإنساني بفعل ما شهدته المدينة من تطور في مختلف مجالات الفكر الثقافة و الحضارة لعل أبرز من يمثل الحكمة في هذا العصر الأديب اللبناني ناصف الياجزي من حكمه:

وأفضل مااشتغلت به كتاب جليل نفعه حلو المذاق[4à]

يدعو الشاعر في هذه الحكمة إلى الاهتمام بالكاتب و إبراز منافعه.

---

(1) محمد بالخير، **شاعر الحكمة والحرب**، ص41
(2) إميل ناصف، **أروع ما قال الشعراء والحكماء**، ص127
(3) المرجع نفسه، ص129
(4) المرجع نفسه، ص120

II)االحكمة في الشعر الشعبي و موضوعاتها

II)1-الحكمة في الشعر الشعبي

قيل إن من الشعر لحكما،أي أن في الشعر كلاما نافعا من الجمل،و يشتمل الشعر الحكمي قصائد و مقطوعات و أبيات يودعها الشعراء خلاصة تجاربهم في الحياة،وهو رسالة تعليمية تربوية فهو عبارة عن جملة مواد الإرشاد الأخلاقي و التعليمي التربوي،ويتلاقى الشعر الحكمي والتعليمي في الوسائل والأهداف بيد أن الشعر الحكمي بأنواعه المتمثلة في شكل قصائد حكمية مستقلة بذاتها،أن في أبيات متناثرة في قصائد الشعر الغنائي على اختلاف أغراضه«هو أرفع شأنا فنيا من الشعر التعليمي،وذلك أن الفكرة الحكمية قابلة لإستعاب الفكرة الفنية الجمالية أكثر من الفكرة التعليمية»[1]فالشاعر الحكمي يستخدم الوسائط البلاغية،والصور البيانية والبديعية إضافة لاستخدامها القصص الأسطورية.

الشعراء الشعبيين عرفوا بين قومهم برجاحة العقل وأصالة الفكر وبعد النظر، احتلوا مكانة رفيعة،وتناقل الناس حكمهم اعترافا بفضلهم وتقديرا لمكانتهم و سيادتهم.

الحكمة الشعبية جديرة بالحفظ و الصيانة لما فيها من التفتيح والاستفادة،فهي ناتجة من تجارب دنيوية ومعاملات مع خلق الله صرح فيها الشيخ لقصد الصحة،ولا يظن القارئ البريء أنها مجرد نقد العوائد وسخرية المواطنين فعليا أن ننزه قائلها عن كل فرض شيء يحث على الخير والأعمال الصالحة حيث يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم:«الحكمة ضالة المؤمن،يأخذها مما سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت»[2]

خلاصة القول في ذلك أن الحكم المنظومة في الشعر الشعبي تمثل ثروة من تراثنا الأدبي العامي فينبغي الاعتناء بها والعمل بموجبها.

للحكمة موضوعات عديدة نذكر منها:

---

[1] أميل ناصف،من أروع ما قال الشعراء والحكماء،ص08

[2]أحمد بن عبد ربه،العقد الفريد،دار الكتاب العربي،ج2،بيروت،ص254

1) IIالموضوع الديني:

ينتعش مثل هذا النوع من الشعر خصوصا في شهر رمضان حيث يعتبر فرص سانحة لاستعراض بعض النماذج الدينية التي تؤصل علاقة الشاعر الشعبي بتمسكه بالفضائل الدينية ومناداته الدائمة بالعمل وفق مقتضيات وواجبات الشريعة الإسلامية السمحاء.

نبدأ هذه النماذج بقول الشاعر:**بن رامي مسعود** في قصيدة سبحان الكريم الدايم[1].

سبحان الكريم الدايم من لا يسهى و لا ينام
الداري بفعالنا وعالم الباقي في الملك على الدوام
اخلق الملائكة أدم منظم كل شيء بالتمام
ياويح العاصي من كل ظالم أتحدى حدود الله الأعظم.

فهذه القصيدة مليئة بالحكم و المواعظ تطرق فيها الشاعر إلى صفات الله الحسنى مذكر بأنه خالق الكون محذرا كل من سمحت له نفسه بتخطي حدود الله.

ونجد أيضا نفس الشاعر يقول في قصيدة **يا بن آدم أحمد الله أشكره**[2]

يا بن آدم أحمد الله وأشكر في ساير الأوقات
أسجد لمولاك وأذكر بالتحية و الركعات
أقرأ كتاب الله وأستخبر يظهر لك المعجزات
أتولي تبكي وتستغفر وتخشع لرب الكائنات

فهذه القصيدة مشبعة بالروحانيات والتذكير بالعودة إلى الله من خلال الاستغفار والبكاء وقراءة الكتاب المقدس ليذكر بأن العمر قصير و الموت لا محال قادم.

ونجد قصيدة الأمين سويقات في حب الرسول يقول:

---

[1] بن رامي مسعود،**الكنز المغمور في الشعر الملحون**،ص47.

[2] المرجع نفسه،ص88.

إذا غيري حب وعشق ألف مرة ووصفها بخيار قولوا وأشعا روا
إذا غيري حب وأمدح الإسراء ولبس ثوب الذل كثر تشكا روا
عفت المدح وعفت كدرت الشعر وكل مداح يسهل تغيا روا
أنا مدحي ناظروا هذا المدى اللي في قلبي صفوات أنواروا[1]

فنجد أن مدح الرسول-ص-قد أخذ بحظ وافر لدى الشعراء فكل حاول أن يبين خصاله الحميدة وصفاته مخلدا الريان في القصيدة ومع ذلك فصفات النبي وأخلاقه تبقى أعلى من كل كلام.

الموضوع السياسي والوطني:

اكتسب الشعر الشعبي في الجانب السياسي والثوري لونا خاصا،فقد كان لسان الثورة حيث قام بمهمة الإعلام وذلك من خلال الفخر ببطولات الثورة والإشادة بانتصاراتهم على الفرنسيين والرد على الخونة والتشنيع بهم وتحريك الأهالي لدفعهم إلى الجهاد في سبيل الوطن.

وفي هذا الصدد نجد عدة شعراء كتبوا نذكر منهم كمال شر شال في قصيدة:**كتاب نوفمبر**[2]

يتشوك لحمي بكلمة نوفمبر تتفجر مهجتي ونحب نطير
تلعب الدمعة في عيني وتقطر شانك يا نوفمبر شحال كبير
كتب الموالي في نهارك وقدر يتكسر الظلم ويتقرر المصير
وإحنا جيل اليوم لازم نعتبر هذه أمانة لازمها تأطير
وكي تتلف لك ولتحيا الجزائر البارح اليوم وغدوا وربي كبير
أرقد يا شهيد في رحمة وأستبشر مازال هذا القلب على البلاد يغير

فهذه القصيدة تتحدث عن أثر نوفمبر وقيمته في النفوس حيث أنه رمز الفــداء

---

(1) الأمين سويقات،**مواويل الشوق والأمل،ص9**

(2) مدونة أشعار **العكاظية العاشرة للشعر الشعبي**،ص65-66

باعتبار أنه ذا شأن كبير فالبلاد قديما أثناء الاستعمار أو بعد الاستقلال فإنها تفدي بأغلى شيء لأجل الحرية ليبعث الشاعر في الأخير رسالة إلى الشهيد بأن ما تمناه هو بالأمس سيحققه جيل اليوم.

ما خلفته حرب نوفمبر هو بروز شمس الحرية وفي هذا الصدد يقول:**رامي مسعود** في قصيدته:**الحرية نور**[1]

الحرية نور وربي هو اللي عطاها
تنحي الظلام والجور ويا سعد من سواها
الحرية بدر البدور وتضوي على اللي يهواها
الحرية تحرر واليد والبحور وتعطي الخير لمن كفاها
اللي مات من أجلها راه مسرور ماتهموش الحياة لمن أعطاها
يتلقاها بحور العين والنور شوفوا ذلك الرحمة محلاها

الشاعر هنا تطرق إلى التعبير عن الحرية بألفاظ معبرة تثلج الفؤاد فهو إذن حكيم إذا أراد أن يدفع بالمستمعين إلى القتال من أجل نيل الحرية و العيش الكريم في الدنيا والمراتب العليا في الآخرة.

ومنه فالكلمات معبرة خادمة للموضوع فالحكمة نجدها تقريبا في جميع الأبيات **الحرية نور،اللي مات من أجلها راه مسرور،يتلقاها بحور العين،شوفوا ذيك الرحمة محلاها.....**

الموضوع الاجتماعي:

كون الشعر الشعبي ينبثق من حياة الناس،**ومن** لغته التي تصور محيطهم أصدق تصوير كذلك لهجتهم التي ترسم الصورة البارزة للألفاظ لدلالة الألوان والأصوات والحركات عندما يحسها ويدركها،وأن الشعور بالمياه وإدراكها الكامل لا يكونان ناميين إن عبرت عنهما بغير اللغة الدائرة على الألسنة وبهذا يثير شاعرنا العامي النفوس إثارة يعجز عنها أكبر شعرائنا الرسميين.

---

(1)بن رامي مسعود،الكنز المغمور في الشعر الملحون،ص20

وفي هذا الجانب نجد قول الأمين سويقات[1]

يا حامل في قلبك فكرة وسابح في بحر الفنون
يا ماشي في درب الشهرة يا باحث عن سر اللون
تمشي و حامل آه وحسرة بالكلمة الزينة مفتون
يعطي قدرك بعد الحقرة اسمك يملأ كل الكون
ياسر من مشتاق لتمرة وكي مات علقولو عرجون

والمعنى العام الذي يمكن أن نستخلصه من هذه القصيدة أنه عادة ما تعطي قيمة الإنسان بعد موته فيمدح ويتذكر خصاله في وقت لم يعد يفيده ذلك:

كما يقال الميت يطو الو رجليه.

ومن الشعراء الذين كتبوا أيضا في الجانب الاجتماعي فذكر قيمته **مشري** في قصيدة (**ما يحس بالجمرة غير اللي عافس عليها**[2])

الموضوع العاطفي:

يعتبر أهم فنون الشعر الشعبي وأحبه إلى الناس،وذلك لما يلازم هذا الفن الكثير من العواطف والحب إلى جانب العتاب نظرا إلى الهوة التي تفصل عادة بين أمل المحب والواقع أو إلى شدة اهتمام المحب بمن يحب.

ومن أهم المصطلحات في هذا الجانب نذكر:**العتاب،السهر،الشوق،اللهفة،القلق االحزن**

والقصائد عديدة في هذا الجانب نذكر منها قول بن رامي مسعود [1]

راني نترجى ونراقب في المكتوب ونـاري في القلب شاعلة قوية
جسمي يتألم ملهوب ما فادني لا طبيب ولا أدوية
وأنا صابر للضر معطوب وعقلي طاير صبحه و عشيه
الحب لي في القسمة مكتوب ومولا توا ما تحير تش أعليا

(1) الأمين سويقات،مواويل الشوق والأمل ديوان شعر شعبي،ص53-54
(2) مشري يمينة،بستان الحكمة،ص67

فالشاعر هنا يعبر عن عواطفه وما يصدر بألفاظ صادقة و القارئ للقصيدة يحس بصدقها.

ونجد أيضا قصيدة للشيخ السماتي عنوانها **يا قمري حيرتني** يقول فيها:

يا قمري حيرتني وأنا محتار من قدام اليوم قلبي بهبالوا
هم الحبس زاد ليا بالشف كار وأنت زدت خاطري بعض أعلا لوا
نبكي و نبكي معنا الحضار عينيا بدموع دمي يتهالوا

فهذه القصيدة عن اللوعة و البعد و الحنين فهو يشكى جفاء حبيبته وانقطاعها عنه إضافة إلى هم آخر.

الفصل الثاني:البناء الفكري للحكمة في الشعر الشعبي

I) الأسباب العامة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري

I 1 -الأسباب الفكرية والنفسية

I 2 –الأسباب الدينية واللغوية

II- الأسباب الخاصة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري

II 1- الأسباب التاريخية

II 2-الأسباب النفسية والاجتماعية

البناء الفكري للحكمة في الشعر الشعبي الجزائري:

إن الخطاب الحكمي في الشعر الشعبي لم يأتي عفويا فهو إبداع تتداخل فيه جملة من الأسباب و المثيرات منها ماهو خاص بالشاعر مقترن بتركيبته الشخصية و كذا خصوصيات انتمائه لوطن معين و قبيلة معينة و منها ماهو عام يكون سببا في ميلاد أي حكمة عربية شعبية كانت أم فصيحة و عليه يمكننا إرجاع أسباب القول الحكمي في الشعر الشعبي إلى نوعين من الأسباب:

أ-**أسباب عامة:**وهي تلك الأسباب التي لها علاقة بسجية الشاعر و سليقته و شخصيته أي أنها متعلقة بأي شاعر جزائري كان أم عربي و نضم إليها دافعين آخرين

يعتمد عليها العربي في نسج حكمته و طرح أفكاره و هما الدين الإسلامي واللغة العربية.

ب-**أسباب خاصة:**و هي تلك الأسباب التي لا تخرج عن جغرافية المكان و خصوصية الناس المنتمون لتلك الحدود الجغرافية و بمعنى أدق أسباب خاصة بحكمة الشاعر الجزائري و تتمثل في الظروف التاريخية السياسية التي عاشتها الجزائر وعايشها الشاعر الشعبي و كذلك الظروف الاجتماعية التي نشأ في أحضانها الشاعر الجزائري و استقى منها موضوعاته كيف وهي التي أدمت فؤاده في بعض الأحيان و بنت عماده في كثير من الأحيان.

I المبحث الأول:الأسباب العامة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري

I 1- الأسباب الفكرية و النفسية:

لاشك أن الشاعر عموما إنسان مرهف الإحساس شديد الشعور بما يجري حوله مع نوع من الفكر الواسع و العقل الراجح يتوق دائما إلى ما هو مثالي يميل للمنطق في كثير من الأمور ويخرج في بعضها الآخر عن ذلك المنطق يختلق عالما خاصا به يراه بعينه الشاعر صوابا أو خطأ يشيع عند الأغلبية من العامة بأنه صواب و عليه تمخضت الحكمة في الشعر الشعبي من رؤية فلسفية هادفة تعددت فيها المواضيع من
حديث عن الدنيا و تأمل فيها و تصويب للأخلاق و التدبر في الوجود بكلمات جيدة جادة تعبر في كثير من الأوقات عما يخطر على بال أي إنسان متفردا كشاعر بالسبق و الجرأة و القول البليغ.

و الشعر كما عرفه أحمد حسن الزيات في تاريخ الأدب العربي هو«الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعية و الصور المؤثرة البليغة و قد يكون نثرا كما يكون نظما و الشعر أقدم الآثار الأدبية عهدا لعلاقته بالشعور و صلته بالطبع وعدم احتياجه إلى رقي في العقل أو تعميق في العلم أو تقدم في المدينة و لكن أولويته عند العرب مجهولة فلم يقع في سماع التاريخ إلا و هو محكم» [1].

فمن المعروف أن العملية الإبداعية تنتج عن تراكم عدة عوامل نفسية من بينها الذاكرة والذكاء و الجينات الو راثية والانفعال و الطبع وغيرها من العوامل المساعدة في حدة الفهم و التعبير عن ذلك،الفهم بلغة جميلة و مختصرة دالة عن المعنى و هي طبيعة لصيقة بالشاعر عموما شعبيا أو فصيحا فالحكمة هدفه الأسمى ولهذا لا يكاد يخلو بيتا أو قصيدة منها بل إن القائل للشعر منذ القدم كان هو الإنسان الموسوعي والمطلع و النبيه و الذكي و تجدر الإشارة بأن القائل للحكمة أي الشاعر الشعبي قد يكون إنسان غير مكون تكوينا أكاديميا غالبا لكنه يستغني في حياته عن ذلك التكوين بما يحويه عقله الراجح من ثقافة و نباهة وإحساس أعانه على اكتسابها الدهر.
وعليه فإن الشاعر الشعبي لم ينطلق من خلفية أكاديمية مكونة بل كان لديه طبع مكنه من التكيف مع أي مناخ اجتماعي أو سياسي فعبر بشعره عن عواطفه ووجدانه بلغة سليمة و أسلوب بسيط لا يتطلب معرفة الكتاب و إتقان قواعد اللغة العربية لا يحتاج إلى الثقافة التي نعني بها نتاج الفكر و الذوق السليم و طلب العلم بل إن «ضعف الثقافة الأكاديمية في الأواسط الشعبية ساعد الشعر الشعبي على الانتشار فصار الناس يتغنون بالملحون و

يهجون حيث اتخذه الناس أداة للتعبير عن مقاصدهم المختلفة من مدح و هجاء و غزل و ضرب الحكمة التي اعتاد أن يطرقها الشعر الفصيح» [2]

وها هو الشاعر رامي مسعود يعبر عن هذه المعاني في قصيدته فلسفة بلا فهامة جهامة حيث صور إتقان حالة الذين يتحدثون دون علم و يقولون دون إطلاع غير مستندين إلى الدليل و لا حجة و هذا إنتاج عن جهلهم فمن العنوان يتضح المعنى

---

[1] بلخير،شاعر الحكمة والحرب،ص23

[2] المرجع نفسه،ص19

الإجمالي للقصيدة و الدال على أن الشاعر يؤكد على قيمة العلم و ضرورته في الحياة و سلبية الجهل و المتصف به مشبها بصورة رائعة الادعاء بالعلم أي الجهل بالجهامة التي هي نوع من الدوامة التي تخيم على عقل الإنسان و نسيطر على وعيه فتدخله بؤرة من الظلام و اللاتمييز.

يقول رامي مسعود:[1]

فلسفة بلا فهامة جهامة تورث الظلام و الندامة
ولا تبعتها رآك تدفع لغرامة وسال العارفين اللي في البحر عوامة
العلم بحر و الرجال عليه حرامة وافنا أعمارهم فيه يارزامة
أفطن من النوم وامسح على عينيك الغمامة العلم نور يعطيك الفهامة
الجهل ظلال يديك لجهنم نعطيك مثل القمري ولد الحمامة
مارهوش كالنسي ولد الهامة قيمة القمري يعرفوها الزينين مايعرفوهاش العجامة
الغزلان والطاووس الحلوة والنعام ياك الفروسية للحصان و الجمل طويل القامة
والبغل للحرث والحمار ما عند وش لفهامة الذيابة و الثعالب عندهم علامة
أحرز روحك وخليك من الزعامةنوصيك يا بن آدم الدنيا هذي والله غير منامة عبرتلك
حكمات و الحياة ماهيش دوامة مسعود طالب العفو والغفران حتى يوم القيامة

من خلال القراءة المتفحصة للأبيات وفهم لغتها ووضع اليد على الصور و التشبيهات نجدها لاتقل حكمة عن الشعر الفصيح فلكل بيت إيحاء يختص به مجزئ الشاعر بهذه الطريقة كيفية التعلم و سبب طلب العلم و مخلفات الجهل و المتصف به فقد شبه في كثير من المواضع وكفى وكذلك عقد المقارنة بين الأطراف التي شبه بها فنجده في البيت الرابع مثلا يشبه الجاهل النائم أو الذي على عينه غشاء أو غمامة و يأمره بالاستيقاظ و النظر إلى الأشياء بكل وضوح و صفاء وذلك بواسطة نور العلم و ضيائه.

وتجنبا لذكر الأسماء أو الكلام المباشر حاول الشاعر التمثيل ببعض الحيوانات المتفاوتة في الذكاء فالثعلب مثلا كان دلالة على الذكاء و الدهاء والذي يساعد صاحبه

---

[1]) بن رامي مسعود،الكنز المغمور في الشعر الملحون،ص64

على تجاوز العقبات و حل المشكلات في حين مثل الحمار أو البغل مثلا للتأخر في الفهم و التخلف فيورث أصحابه التأخر عن الركب و الوقوف في الظل دائما دون السعي إلى المبادرة أو الجرأة لأنه و ببساطة لا يملك السلاح الوحيد و الأوحد و هو العلم و الفكر الذي هو شفرة السعادة في الحياة.

وعليه فالفكر والعقل الناقد هي ميزة الشاعر الشعبي،فهي سمة عامة تضجع شعره و تميزه و يساعده فيها الصفات التي خلق و هو مزود بها جعله يبدع في مجال الحكمة إبداعا جعلها لاتندثر بطول السنين بل تزيد قيمتها بطول السنوات.

2I -الأسباب الدينية واللغوية:

من المقومات الشخصية الإنسان الجزائري الدين الإسلامي و اللغة العربية وهو ما يظهر في أدواره الاجتماعية و ما يظهر كذلك في الشعر الشعبي و الحكمي بخاصة فالحكمة من الشعر للشعبي الجزائري على الرغم من أنها جاءت بلسان شاعر أمي يرى المقري «أن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الأرض،أدمغة اليونان،و أيدي الصين،و ألسنة العرب»[1].

فالحكمة عند العربي تؤسس بالدرجة الأولى على اللغة و بلاغتها وهو ما اشتقت منه الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري قوامها فهي حكمة تحاكي لغتها اللغة العربية الفصيحة وما ساعد على ذلك هو عمق المعتمد الإسلامي و قداسته.

و الملاحظ على لغة الحكمة أنها تمشي على وتيرة موحدة تنمو بنمو الموضوع وتتعمق بغوص الشاعر في قصيدته.

وهو ما تنطبع به الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري والتي تنمو بنمو الموضوع فتأتي معالجتها للمواضيع بحسب المواقف فتأتي تارة تعالج أمورا مصيرية .

تعالج مواضيع بسيطة بطريقة تمزج بين الجمال و الفكر فتكسبها قيمة فنية و كذلك أخلاقية على الرغم من أن اللغة تدفعها المؤثرات والمؤثرات غالبا ما تكون مواضيع كبرى ذات وقع على كل أفراد المجتمع وعليه فإن أحسن المواضيع التي

---

(1)ناصر صبار،شاعر الحكمة والحرب،ص35

ظهرت فيها جمالية اللغة الشاعر الشعبي الجزائري هي التي عانى فيها من غطرسة الاستعمار،مما جعل اللغة العربية و النص الديني أكثر ما يلفت انتباهنا في الحكمة عند شعرائنا و هذا يرجع إلى تمكن الجزائريين فهم يتغنون بالثورة التحريرية و يربطون أصحابها بالدين أي لا يتصورون أن هناك فرقا بين القتال من أجل تحرير الوطن و قتال من أجل نشر العقيدة فكلا القتالين في سبيل الله و كل من انظم إلى صفوف الثورة فهو مجاهد في سبيل الله.

وقد أخذوا هذه الفكرة من الثقافة القرآنية «التي هي كل ثقافتهم في هذه الفترة من خطب رجال الثورة الذين كانوا يربطون بين الجهاد في سبيل الله وبين تحرير الوطن» [1]

لكن لا يمكن الربط المباشر بين الثورة و بين تأثر الشاعر باللغة العربية والدين الإسلامي بل هناك أسباب أخرى فرضت هذا التأثر من بينها تمكن و تغلغل القيم الإسلامية من شخصية الجزائري و كذلك الامتداد الجغرافي للعالم العربي و كذلك الفتوحات الإسلامية و البعثات العلمية للمشرق كانت في مجملها أسباب جعلت الحكمة تستقي من اللغة العربية مادتها و شكلها و الدين الإسلامي فكره و موضوعه.

فالحكمة قد تحدد موقف الشاعر من الظواهر الاجتماعية والكونية فيحاول بذلك توجيه الإنسان إلى حقيقته إلا ما ينتظره من ثواب أو عقاب كما نص على ذلك

القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة فنظروا في جوارح الإنسان و أفعاله نظرة دينية،كانت الحكمة قالبا له فاللسان مثلا حاولوا إعطاء نصيبه من التأمل والنقد والوصف واستخلاص آثاره فوجهوا صاحبه إلى التحكم في هذه الجارحة بطرح آثار إساءة استعماله قبل محاسنه فيقول أحدهم:

بركاك يا لساني بركاك من قال وقال
تعيا و تقود ظلمة لا شمع يقدي لا اضو أيبان[2]

وهي حكمة تدل عن حساسية هذه الجارحة أي اللسان ودورها في تحديد مصير

(1) العربي دحو،الشعر الشعبي ودور الثورة التحريرية الكبرى،ص63-64
(2) المرجع السابق،ص65

الإنسان في الدنيا و الآخرة فكثرة الكلام توتر الملام وهو معنى إسلامي نص عليه القرآن وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم،وجعله للعامل الإسلامي الذي يؤدي بنا إلى دخول النار.

إن الحكمة في الشعر الشعبي كانت و لازالت أداة لتعبئة و رصد الصفوف وشحن النفوس بالمعاني الإيمانية و هو ما فرض وجود اللغة العربية في بعض المواضع خاصة ما يتعلق بالدعاء أو الحديث عن الخير و الشر أو القضاء و القدر والجنة و النار أو الحق و الباطل أو في مواقع المديح أو الحديث عن الأمة العربية الإسلامية فتقول الشاعرة **جودي ذهبية**[1]

يا ذا الأمة فيقي نوم الرقاد و لمي شملك راه مبروش مز ربع
كوني مثل الرضيع كي فطموه تهد ورجع لعضان عند مه يرضع
يتروى من حليبها يرجع مجهد ويرد العديان كي ولد السبع
كوني مثل طيور هجرت قيس البرد وحنت لوكار محال تودع
كوني مثل الزهور تذبل وتجدد وتفتح نوار الربيع مربع
هذه الأمة زايخة من جد لجد عيب علينا كان لدوني تخضع
حطوها ما بين الحجرة و المبرد تجوع مثل السيف ماضي كي يقطع
وطالب بالحق تحمي ما تبرد ومجد الأمة الشايعة لازم يرجع
ونشوف عديان أمتنا ترعد ولي كان يزوخ أنشفوه أدرع
و الصلاة على النبي سيدي المجد مول الشفاعة لي فينا يشفع

في البيت السابع حكمة في قول الشاعرة **حطوها مابين الحجرة و المبرد** أي أنها أمة مضطهدة ومستعمرة ووضعها كوضع السيف بين الحجر و المبرد لكن الاضطهاد لا ينتج إلا أثرا ايجابيا لها،بعد باسم الله الرحمان الرحيم **فعسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم** صدق الله العظيم.

و الواضح أن تأثر الشاعرة بحال أمتها و كذلك حبها لنبيها عليه الصلاة والسلام جعل حكمتها تتجاوز المعنى المادي للسيف و المبرد و الحجر إلى أشياء

(1) جودي ذهبية،البيض2008

معنوية وهي الأمة الإسلامية ة الاستعمار و الجهاد ومن بين الحكم التي تحل على التعلق الروحي بالإسلام قول الشاعر بن رامي مسعود[1]:

الله خلق الدنيا وبن آدم اختبروا بالبلية
كاين الكريم مول العقلية كاين الساقط نسل الذمية
العاقل اللي كان في الخير يقاسى و يصبر لوا

يبدأ الشاعر بنشر وجودنا على الأرض و كيف اختبر سيدنا آدم عليه السلام وهو دليل على سلامة المعتقد الإسلامي إضافة إلى ذلك يذكر الشاعر صنفين من البشر هناك من يبتليه الله بالشر فيشكر وهناك من يبتليه ويشك و يصبر وهي في مجملها معاني قرآنية تدل على تعلق الشاعر بدينه و تركيزه على الحكم و المعاني الراقية.

أما عن اللغة فالكثير يرى في لغة الحكمة الشعبية أنها ليست عربية فصيحة وهو أمر طبيعي نظرا للخروج الواضح عن قواعدها و طريقة نطق كلماتها.

وكذلك وجود بعض المصطلحات التي لا تمد بصلة للعربية فهي كلمات مستحدثة أو دخيلة لكن هذا لا يمنع من أن الحكمة قد تمثل وجها من أوجه التأمل العقلي بلسان لهجي الذي قد يشترك مع لهجات أخرى في الانتماء إلى الجذر العربي فاللهجات كما هو معروف تشترك في مجموعة من الظواهر اللغوية

فالكثير من ألفاظ الحكمة في الشعر العربي تظهر في بعض الأحيان أنها عربية فصيحة لكن التحريف الناشئ عن النطق الخاطئ لها يجعلها تخرج عن الإطار الفصيح إلى الإطار المتفاصح.

2II-المبحث الثاني:الأسباب الخاصة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري

1II-الأسباب التاريخية:

إن الحديث عن الجانب التاريخي في الجزائر عموما يوحي لنا بثورة الفاتح من نوفمبر 1954 وهو ما طبع الشعر الشعبي الجزائري في أغلب الأحيان نظرا للخصوصية التي تميزت بها هذه الثورة ولمكانتها الخالدة في أعماق كل جزائري بل

---

(1)بن رامي مسعود،الكنز المغمور،ص93

كل عربي وعليه سالت أقلام الشعراء الشعبيين حكما خالدة في سجل التاريخ عموما والأدبي منه خصوصا لكن هذا لا يمنع من أن تعلق التاريخ بالشعر الشعبي كان قبل الثورة التحريرية الحديثة بل لقد سجلت بعض القصائد منذ سنة 1558 وهي قصائد تحكي مقاومة مشروعة لكل عدوان يتطاول على الوطن أو يمس شبرا من ترابه فكانت بذلك الجزائر وبتسجيل من المؤرخين منبعا و باعثا لحكمة شعرائها الشعبيين فتكيفت الحكمة بتلك الأحداث التاريخية وطبعت بظروف الجزائر في كل فترة من الفترات«إن الهدف من الحكمة في الشعر الشعبي في كل مراحلها التاريخية هو تغيير الإنسان وتطهير عقليته من الرواسب التي تغلغلت في ذهنه منذ مجيء الاستعمار أو حتى قبل ذلك من محاولات للتنصير والشعوذة والخرافات[1].»وغيرها من الأفكار المغلوطة والتي يحاول دائما شاعرنا الحكيم التحكم فيها بواسطة قيادته الرشيدة الساعية دوما إلى تقويم الاعوجاج وتصليح الانكسارات على جميع أصعدتها الاجتماعية والسياسية والنفسية.

لهذا كانت فكرة الجهاد هي البارزة في النص الشعبي،لأن مثل هذه الأفكار والمفاهيم الصادرة عن المحتل ليست جديدة عن ذهنية الإنسان الجزائري فهو يحفظ الكثير من السير والغزوات الإسلامية وبطولات أبطال المسلمين عبر العصور .

في النص الشعبي يوجد الكثير من المفاهيم التي لها صلة بالمستعمر فهي أفكار و مفاهيم شائعة بين الجزائريين،فالإنسان يحفظ الغزوات و البطولات التي قام بها أبطال الجزائر فهي تبقى راسخة في ذهنه مستحيل أن ينساها مهما مر الزمن فهي تذكره بتاريخ الجزائر و بمليون ونصف مليون شهيد.

ولعلنا لا نستطيع المتابعة و الانطلاق بتاريخ الحكمة منذ بدايتها إلا أننا نقول أن النصوص الشعبية هي عبارة عن سلسلة مترابطة تعبر عن الواقع و مستجداته في استمرارية دافقة طبعت الشعر الجزائري الملحون و معنى هذا أن الملاحظ على النصوص قبل الاستعمار هو ذاته الحاضر الممتد معنا في النصوص التي قيلت أثناء

(I) العربي دحو،بعض النماذج في الشعر الشعبي الأوراسي ديوان المطبوعات،1986،ص16

الاحتلال ثم في الثورة التحريرية مع تغير طفيف من الوسائل و الآلات و الأدوات وغيرها من الماديات التي هي أمر طبيعي في تطور أي مجتمع من المجتمعات لكن الحكمة تبقى حكمة لما تتميز به من قيم روحية و تعبير عن المجتمع والذات[1] بطريقة إيجابية جميلة وبصور رائعة تسجل في بعض الأحيان وقائع تاريخية أو يسجلها التاريخ أو يؤثر في تغيير شكلها تبعا لمتغيرات العصر.

ومن الحكم في تاريخ الشعر الملحون الجزائري نجد مثلا قول الشاعر جلول الحميسي في قصيدة حضرت اليوم شفت صفة من الصفات يرسم لنا صورة لأم مسنة فقدت وحيدها فيقول[1]:

قلت لها يا عجوز درتي ذنب كبير قبر يبكي على قبر هذا الشئ محال

و تجيبه الأم قائلة:

عين فريدة طاح عود أعمات خليني نبكي أعلا ش تسكتيني

صور لنا الشاعر منظرا حزينا لعجوز مسنة فقدت وليدها ووحيدها فبكى قلبها قبل عينيها و كيف لعينها أن تبكي و هي فقدتها كما تقول (عين فريدة طاح عود أعمات) كناية على ابنها الوحيد فالصورة الأولى هي (قبر يبكي على قبر هذا الشئ محال) أي أن كبر سن العجوز ينبئ بالقبر و إشفاقه منه عليهما يقول أنها ارتكبت جرما ببكائها عليه لأن حالتها وو ضعيتها تحتم عليها الصبر والإيمان بالقضاء والقدر لكن عاطفة الأم لا تموت إلا بمفارقة الروح للجسد.

أما الحكمة أو الصورة الثانية فهي (عين فريدة طاح فيها عود أعمات) وهي حكمة سائدة في أوساطنا الشعبية الجزائرية كناية على من يملك شيئا واحدا أو شخصا عزيزا وحيدا فيمثل له بالعين وهل هناك أعز من العين فكيف إذا عميت تلك العين لتورث صاحبها الظلام و الوحدة و الضياع و فقدان الأمل.

والمتصفح لنصوص الشعر الملحون الجزائري يجد أن الحكمة تتغير بتغير الفترات التاريخية فهي تجسيد جيد لوقائع التاريخ و الخصائص السائدة في كل فترة

(I) جلول يلس،أمقران الخفتاوي المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون،ض11

كما أنها لاتخرج عن حدود الجزائر وعن خصوصيته،وكذلك الكنايات المستعملة

والسائدة فالأسد مثلا هو معروف عالميا وعربيا كرمز للشجاعة و القوة لكن عندما يستعمل عند الشاعر الجزائري فإنه يصطلح عليه أسماء مختلفة عن كلمة أسد كما أن موضع الاصطلاح أو مجاله يكون خاصا بالشعب الجزائري و غالبا ما يكون الثورة التحريرية،أو كناية عن الرجولة و الأنفة المعروفة عن الإنسان الجزائري.

ومثال ذلك قول الشاعر إدريس لعجال [1]:

صيد الغاب متهول غاضب غضبه
حيز الله اجوع راه مغيظ اطمطم
رعدا دمدم في كل جهة يضرب
مبروم الزندة يضرب للكبدة
لاسيه يهجع يحمى الساحة يطبع

الشاعر يستعير لجيش التحرير اسم الأسد و صفاته ليخصه بلوحة فنية رائعة تداخلت فيها الشجاعة و الغضب و تعالت فيها أصوات الرفض و بدأت إصاباته النافذة في صفوف العدو واضحة وبذلك أصبح محررا لا تمتد إليه الأيدي ولا تلوثه أقدام عساكر العدو والتي ولت هاربة بعدما أصابها ما أصابها من ضربات الثوار[2] كما أن عبارة (مبروم الزندة يضرب للكبدة) تمثل للجندي المصيب للهدف و القوي الساعد.

فالإنسان الجزائري شجاع لايخاف فهو كالأسد في بأسه وعنفه،فحين يغضب لايميز بين أحد فيأخذ حقه بكل عزم وإرادة.فلقد عانى من ويلات الاستعمار الفرنسي ولكن حاربه بكل قوة وعزيمة وبفضل عون الله وحفظه استطاع أن يتحرر ظلمه وفر العدو هاربا من جراء ما أصابه من الثوار.

---

[1]العربي دحو،الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى-المؤسسة الوطنية للكتاب ج1 1989-ص183-184

[2]ينظر،المرجع نفسه،ص21

لكن من المهم أن نعلم أن ارتباط الحكمة لم يكن مقترنا بالثورة فحسب بل كانت ولا زالت الجزائر ملهمة الشاعر و مصدر حكمته فها هو الشاعر بن رامي يقول في قصيدة له بعنوان (الجزائر يا زينة السر المتموم) [1]

الجزائر يا زينة السر المتموم مكمولة في الزين الزهرة ضوايا
اللي يعرف قيمتك راهو مردوم يا زينة البلدان عدرة كوايـا
اللي يحبك راه في حالة مهموم بنيرانه تلهب و الدمعة جرايـا
سبحان الله ما خلق في هذا القوم عبد و سريع وأمور خفيـا
خلق خير كثير مجهول و معلوم تراب وطني أمطهر وعالي العليـا
يا كاملة الزين كثر عليك اللوم قالوا عليك كثير اللي مما عديـا
يا حصرتها أولادها غرقوا في النوم تبعوا دعايات الكذب و الحسود يا
سمحوا في الغالية الورد المشموم وصبحوا يقتلوا في بعضهم بعض ذا البوجاديا
والعدو في قلبها راهوا منعوم زاهي يلعب في غنى هذي الدنيـا
ولديها الحقاني من خيرها راهوا محروم خرجوا عليه كذوب هاهي حقيـا
أهل الشر يحطموا وهو متهوم شوفوا ذاك البدع و الناس معميـا
والله عيب كبير على الفم المزموم يعرف وكار الحق وساكت على الظلميا

هذي هي وصايتي اللي مهموم عطيتك نظرة على الوطن يا ابن خويا
كونك راجل زين وبراكة ما تهون استعصم بالله واحذر من اليهوديا
ونختمها على الهاشمي طه المعصوم مسعود راهوا فهمك يا ابن بويا

الواضح أن القصيدة تؤرخ لفترة عصيبة في تاريخ الجزائر و الجزائريين أو ما يعرف بالعشرية السوداء والتي عرفت فبها الجزائر منعرجا أمنيا خطيرا وهزة في وجدان شعبها أفقدته الثقة في نفسه ووطنه وإخوته خاصة و أن معنى الأخوة أصبح معنا لا وجود له.

في الواقع عقب ما سجلته الأحداث من قتل واختطاف وتشريد من طرف أبناء الوطن الواحد فهي ما يشبه الحرب الأهلية وهي ليست كذلك لأن المعتدي فيما كان أخ

---

[1]بن رامي مسعود،الكنز المغمور في الشعر الملحون،ص14. المزموم:المغلق ،البوجاديا:الجملة

وابنا مغررا به،والمعتدي عليه لا يعلم سبب الاعتداء عليه نظرا للصفة المتلاحمة للشعب الجزائري التي كانت قبل تلك الأحداث كيف لا وهو صانع الثورة والمحب للأرض و الأهل في ظل هذه الأوضاع لوحظ سكوت وتعميم إعلامي تام عن التحقيق في المجازر التي قامت بها الجماعات الإرهابية المجهولة فيقول شاعرنا في البيت الثاني عشر:

والله عيب كبير على الفم المزموم يعرف وكار الحق وساكت على ظلميا

وهي حكمة استقاها الشاعر من قول سيد الخلق وأحكمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الساكت عن الحق شيطان أخرس ومعناه أن السكوت حكمة ولكن إذا كان على حساب الحق فهو باطل ومنكر يعاب فاعله.

مما نلاحظه من خلال تتبع الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري على مر تاريخ الجزائر نجد أنها تطبع بظروف الوطن وأفراحه وأحزانه فتصبح مادة التاريخ موضوعا لحكمته و مضربا لمثله ومن هذه الأحداث نجد الشاعر الطالب قدور عباس يخلد يوم 20 أوت1955 ويبدو بحكمته قداسة الثورة وإنجازاتها وانتصاراتها ومشروعية الجهاد فشبهها بالحج الذي لم يبذلوا فيه المال ولم يتكبدوا فيه عناء السفر فيقول[1]:

جانا حج بلا تعب وكثرة المال وقسنطينة عاد فيها جبل الطور
بعد الضيقة فرجوا عنا لبطال وعلام الكفار خلاوه مكسور
اتفقوا على الصدق بالقول ولفعال ولحزب انتخبوه من حزب الدستور
كي تمت لأحزاب شعلت في الجبال بطيار وطنك والمدفع والكور
كان حياة الناس ربحت الاستقلال واللي مات بصيفتوا ذنبوا مغفور

تضمنت أبياته حكمة عبرت عن شوق الشعب الجزائري إلى الانتصارات كشوق الإنسان إلى الحج فكان الانتصار بمثابة الحج بلا تلاعب ولا مال فإذا كان الحج أكبر حلم يرغب في تحقيقه المسلم فالجهاد والاستقلال والانتصار على العدو الغاضب يضاهي مكانة الحج عند تحقيقه بل إن الإسلام في مبادئه يحرض على الجهاد ويعتبره أرقى مكانة يمكن أن يصلها المسلم وأقرب طريق إلى الرب.

---

[1] محمد كمال مكاوي،ديوان الشاعر الطالب قدور،2007،ص43

مما سبق يتضح أن الحكمة جانب مهم في التشكيل التاريخي للشعوب وكذلك تعبير جيد عن تعايش الشاعر مع مجتمعه في الفترة التي كتب له أن يعيش فيها فلا يخرج من هذه الحياة إلا وقد طبع بصمته على صفحات التاريخ بفضل نظرته للحياة

وعقله ومكانته بين قومه وأقواله البليغة النافعة فيتناول الناس تلك الأقوال ويعترفوا بفضله عليهم وإن نسيه الناس فالتاريخ لا ينساه خاصة إذا كان من أمثال الشاعر محمد بلخير والشاعر لخضر بن خلو ف،وعبد القادر الوهراني ومحمد ليشاني وغيرهم والذين يزدادون احتراما وتقديرا من طرف أبناء الجزائر كلما باعد التاريخ بيننا وبينهم لتقرب قصائدهم التي طبعت بدمائهم.

من هذا نستخلص أن الحكمة في الشعر الشعبي تستهدف دراسة جزء من التراث الوطني لا تختلف في ذلك عن دراسة الحكمة في الشعر الفصيح[1]

فالشاعر الشعبي لا يعرف التوقف عند حد معين أو نقطة فاصلة في كثير من الأحيان ليفرغ فيها أو عليها عبقريته وإنما يحول خائضا كل غمار طارقا كل باب،متصديا لكل حالة،يحرض ويوصي ويشجع ويذكر والأوساط الشعبية تجد في كل هذا متنفسا تردد أقوال الشاعر،تحفظها تتغنى بها وقد تصير مضرب أمثال الوسط الاجتماعي[2]

إنها من دون شك عبقرية جعلت الحكمة وبطول الفترة الفاصلة بين زمن قولها وزمن تذكرها وكأنها نتاج الحاضر يستفاد منها وينهل منها كل متعطش للقيم والأخلاق والفكر.

فالحكمة ظهرت منذ زمن ليس بالقريب ولكن من بعدها فإنها ما تزال راسخة عند الناس فهم يتذكرونها ويتحدثون عنها وكأنها موجودة في الزمن الحاضر فهي تراث لايمكن أن يندثر.

---

(1) انظر،نلصر صبار،محمد بلخير شاعر الحكمة والحرب،ص11.

(2) جلول يلسي،أمقران الحفناوي،المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون،ص10

2II -الأسباب النفسية والاجتماعية:

إن الهدف من أي دراسة للجانب النفسي والاجتماعي هو معرفة الطريقة التي يعتمدها الشخص للاستجابة لمختلف المثيرات والانسجام مع قواعد الجماعة ومسايرتها وكيفية اندماجه في بيئته وتواصله مع الآخر وأدائه للأدوار التي تعهدها.

والحكمة باعتبارها قيمة اجتماعية فهي لاتخرج عن إطار المثيرات النفسية والاجتماعية فالقول الحكمي في أصله هو عبارة عن تفاعل بين المنبهات والاستجابات لينتج عن هذا التفاعل وقائع واستجابات لغوية ذات قيمة فنية وأدبية.

إن القيمة حسب تعريف سميث:«تطلق على كل ماهو جدير باهتمام الفرد لاعتبارات مادية أو معنوية أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية أو جمالية[1]».

حامد زهران يعرفها «القيمة على أنها عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية وهي مفهوم ضمني غالبا يعبر عن الفضل أو الامتياز أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني أو أوجه النشاط[2]» .

والحكمة باعتبارها نوعا من الأحكام العقلية والانفعالية السائدة في المجتمع فإن لها جذور نفسية واجتماعية وفروع تتمثل في الغايات المراد تحقيقها وتكون كذلك ذات

صبغة نفسية حيث تهدف إلى ضبط النفس وإصلاحها وتقويم سلوكها ومن ثم إصلاح وتصويب معتقدات وأخطاء المجتمع.

لاشك أن للحكمة بواعث نفسية تتشعب بتشعب النفس البشرية وتعقدها وتداخلها وهو ما يؤكده علم النفس في حد ذاته خاصة وأننا في عالم مليء بالتناقضات والصراعات والذي أصبح الثابت فيه الوحيد هو التغير فإذا أردنا معرفة أسباب القول الحكمي يجب تحليل نفسية قائل الحكمة وكذلك دراسة الأبعاد الاجتماعية المؤثرة في نفسيته وعليه فإن النفس والمجتمع هما وجهان لعملة واحدة فالشخصية تتداخل في تكوينها عدة عوامل منها ماهو فطري خاص بالطبع والميول ومنها ما هو اكتسابي خاص بالتكوين الثقافي والعلمي والروحي و البيئي،وهي جوانب تجعلنا ندخل في

(1) جابر نصر الدين،مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر 2006 ص163

(2) المرجع نفسه،ص163.

أمور لادخل لنا فيها،ويصبح الشاعر خاضعا للتحليل النفسي أو ننشغل بدراسة الظروف الإجتماعية.

وعليه جاءت الحكمة في الشعر الشعبي وجها من أوجه التأثر النفسي بالمجتمع وعليه تنوعت موضوعاتها بتنوع قضايا المجتمع وكانت في مجملها مواضيع فرضتها الطبيعة القيادية للشاعر الشعبي داخل مجتمعه والتي تملي عليه ضرورة التدخل في كل ما يراه واجبا ولا يشترط في هذه الحكمة التجربة الخاصة،وما يعرف برد الفعل اتجاه المحيط،فها هو الشاعر بن رامي مسعود يصف الفقر وبعض الظروف الاجتماعية فيقول(1):

الفقر والوحدة خير من عشرة حاسد
الغربة والشدةخير من صحبة جاحد
حر البرد والرعدة وما تعيش فاسـد

جاءت في الأبيات حكم متتالية طرح فيها الشاعر وجهة نظره في بعض المشاكل الاجتماعية كالفقر والغربة وقلة المأوى والزاد ويحاول أن يأتي بأشياء يرى فيها أنها أعظم من تلك المشاكل فيفضل الشاعر الفقر والوحدة من عشرة الحاسد والغربة والشدة من صحبة الجاحد وهو في هذا الحال يحاول التخفيف من حدة المشكل كما أنه يلفت الانتباه إلى أن الماديات لا تدوم وأن ما يدوم هو العشرة الجيدة والصاحب النافع رغم مكانة المال عند الإنسان وحبه له.

والمرأة بالنسبة للشاعر أرض إذا رعاها يجني ثمار رعايته لها وهو واقع بالنسبة لنا فالمرأة تمثل نصف المجتمع إذا أعددتها أعددت جيلا صالحا كما أنها تسعد حياة راعيها مهما كان أبا أو أخا أو زوجا.

وفي الحديث عن الأمراض الاجتماعية يقول الشاعر(2):

السراقين اليوم راهم بانلهم الشان كي غابت الشجعان جاوهما للميدان
لعبوها هزية ويحرقوا في الغلبان أللي ما عندوش الكتاف عريان حفيان
قالولهم أحنا أبطال ومالينا شجعان يكذبوا ويخدعوا ويهفوا في الشبان

(1)بن رامي مسعود،الكنز المغمور في الشعر الملحون،ص92.

(2) المرجع السابق،ص49

وهما كلاب موسخين أماليهم خيان الحركي أولاد الحركي يدمروا بالخسران
ضد الدين والوطن وضد أهل الإحسان يحبوا الشر يعم ويزرعوا في الفتان
خطاف والصاب ما يشبع لهفان إذا بان الدخان تظهر ريحت الكتان [1]

شاعرنا يكشف بحكمه حالة السارق الذي يغتني بمال غيره فبعد الفقر يظهر عليه الغنى ويحاول السيطرة على الضعفاء في حين أن مظاهر الغنى تكشف سر نزاهته من عدمها وعراقة أصله فيقول إذا بان الدخان تظهر ريحت الكتان وعليه فإن المال المسروق يظهر على صاحبه.

وقد يكون الحكيم الشعبي رجلا محايدا لا يطرح حكمته إلا لمن يستشيره في مشكلة ما وذلك لحاجة في نفسه أو خوفا من انقلاب المجتمع ضد أفكاره يقول أحد الحكماء الشعبيين:

ألي يدخل في كلوف خاطيه[2]
ديمــة محلوف فيه

أو كما هو معروف عند أجدادنا

ألي جابوه رجليه لعصا ليه

وهو مثل يضرب لمن يؤدي نفسه إلى التهلكة.

إن الإطلاع على مجتمعنا الجزائري يجد أن جوانب الدراسة فيه متعددة ومنه فإن مواضيع الحكمة فيه كثيرة كالحديث عن الأمراض الاجتماعية وعلاجها والجانب السياسي وأثره على أفراد المجتمع والحديث عن الأسرة ودورها في المجتمع والمرأة وأثرها في تربية النشء فهذا الأخير أي المرأة يقول فيها الشاعر:

المرأة مثل الأرض الخصبة لاغريتها وخدمتها تنال ثمارها
لا صنتها تنال منها الخير والمحبة ويلا تركتها تيبس توريلك شرارها
تتعفن وتنبت الشوك والشطب تعطيك الهم وتذوقك مرارها
تشوف منها الويل والغضب واتلفلك اتجاه موجاتها

---

[1] المرجع السابق،ص49.

[2] كلوف خاطيه: تدخل في شؤون غيره.

أما عن البعد النفسي للحكمة فنقول أنه لا يخرج عن إطار المجتمع فالشاعر الجزائري يطرح دائما حكمه انطلاقا من ظروف الجزائر.

كما أن الشاعر الشعبي قد يعبر عن نفسه و ما يختلجها من أحاسيس ومشاعر متعددة كالحب أو الفرح أو الحزن وتظهر حكمته في غزله أو مدحه أو رثائه فها هو الشاعر لمين سويقات في قصيدة علقولوا عرجون،يقول[1]:

يا حامل في قلبك فكرة وسابح في بحر الفنون
يا ماشي في درب الشهرة يا باحث عن أمر اللون
تمشي وحامل آه وحسرة بالكلمة الزينة مفتون
تتحدى الشدة والعسرة تحي في الحب المكنون
تزرع في البسمة والخضرة تقتل في الشوك المدفون
مكتوبك تعفس عالجمرة تتألم وتشوف الهون
عمرك سر ودرس وعبرة ورمز القلب اللي ممحون

اسمح لي في هذه الذكرى يا ماسح دمع العيون
في عيدك نهدي لك زهرة وقي لأشواقي عربون
ونواسيك فهذه المرة اصمد واصبر يا مغبون
يمكن بعد العيشة المرة كي تولي فقبرك مدفون
يعلى قدرك بعد الحقرة اسمك يعلا كل الكون
يا سر من مشتـاق لتمرة وكــي مات علقولــو عرجـون

الشاعر في الأبيات السابقة يلخص مسيرة من له الفضل على الناس ولا فضل للناس عليه إلا بعد موته وهي ظاهرة منتشرة في مجتمعنا فالإنسان لا يحضا بالدعم والمساعدة والاهتمام والرعاية في حياته وبعد موته تجد الناس يمدحونه ويبكون عليه ويذكرون خصاله فهو أشبه بالإنسان الذي كان في حياته يشتهي تمرة وحين مات علقوا على قبره عرجونـــــا.

---

(1) الأمين سويقات،مواويل الشوق والأمل.

الفصل الثالث:نماذج تطبيقية من رباعيات الشيخ المجذوب

I) تعريف الشاعر و رحلاته
I 1 –التعريف بالشاعر
I 2 -رحلات الشاعر
I 3 - من أقوال الشاعر
II) موضوعـــات الحكمة
II 1–الموضوعات الدينية
II 2 –الموضوعات النفسية
II 3- الموضوعات السياسية

I تعريف الشاعر و رحلاته

I 1– التعريف بالشاعر[1]؟

انه قامة كبيرة في تراثنا الثقافي الشعبي ساهم في تحقيق الوحدة الثقافية بين الشعبين الشقيقين المغربي و الجزائري،وقد عاش في القرن السادس عشر الذي يعد منعرجا سياسيا كبيرا في تاريخ المغرب الإسلامي،لم تعرف بلاد المغرب طول تاريخها شاعرا شعبيا بلغ ماقد بلغه الحكيم عبد الرحمان المجذوب من الشهرة،ومن النادر جدا أن تجد في تلك الأصقاع من تحفظ باعتزاز جانبا من الرباعيات المستوية له رغم مضي قرابة **أربع قرون على وفاته.**

ولد أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن عباد بن يعقوب بن سلامة الصنهاجي الدكالي الملقب ب **المجذوب**[2] بقرية تيط (طيط) سنة 909 الموافق لـ1504م في شهر رمضان نشأ وترعرع وتعلم فيها،وأول من درسه سيدي أبو الحسين علي بن الصنهاجي المعروف بلقب الدوار روي محمد المهدي ابن أحمد القاسي أول من ترجم للمجذوب في كتابه الممتع أنه أخذ العلم من أفواه شيوخها كالسيد أبي عثمان التلمساني إبراهيم الزاوي،حفص عمر الزر هوتي التلمساني وغيرهم،يقال بأن الشيخ الزر هوني هو الذي أطلق عليه لقب **المجذوب.**

لقد عاش بعد ذلك بالقصر الكبير عاصمة المهبط ويروى أنه رحل إليها بإشارة من شيخه الزر هوني، ولبث هناك يقول الشعر الحكيم إلى أن أحس باقتراب الأجل، فأمر أن يذهب به إلى مكناس، فكان أن توفي في الطريق خارج أسوار المدينة قرب باب عيسى وتربة السلطان مولاي إسماعيل،وكانت وفاته سنة 765 ليلة الجمعة 10 محرم ليلة عيد الأضحى كما ورد في بعض المصادر ولا زال قبره موجود إلى حد الآن.

---

(1) ينظر،عبد الرحمان الرباحي،من الرباعيات المستوية إلى الشاعر الشعبي المغربي سيدي عبد الرحمان المجذوب،ط1 2002 ،ص24.

(2) المجذوب:لقب بالمجذوب لزهده في الدنيا وانجذابه إلى حياة التصوف وكان يؤدي ما نسميه اليوم بدور المثقف.

I 2 –رحلات الشاعر:

حقا إن المجذوب قد بذل مجهودا دراسيا عظيما، حتى صار يجيد نظم هذه الأشعار،التي كل موسيقاها من بركة الله ومن مكابدات الحياة،فهل يصح أن نقول إن رحلة المجذوب إلى مكة قد كانت في نهاية هذه الفترة الدراسية؟الثابت أن الشاعر قد صار كفيفا في أواخر أيامه.غير أنه العمى لحقه بالتدريج،ومن البعيد عن الاحتمال أن يكون الشاعر أدى فريضة الحج بعد أن أضحى ضريرا،لأن الحاج في ذلك الزمان كان يقطع تلك المسافة الموصلة إلى مكة سيرا على الأقدام، وقد اعترف المجذوب أنه يعاني الكثير من الإجهاد هذا ما نلمحه من خلال هذه الأبيات:

يا حسرة بعد الليلة[1] و الزبدة الطرية
عدت نكدد في عظام الراس
ومن بعد ركوبي على الشاهب العلوية
عاد ركوبي على بغل نكاس[2]

من قراءتنا المتمعنة لهذه الأبيات نحس بالإجهاد والتعب الذي عانا منه المجذوب فقد تغيرت حالته من رغد الحياة وسعة العيش إلى الضيق والحاجة فالمجذوب ما عاد يسعفه بصره الكليل في ركوب حصانه،و بات يجد السلامة في ركوب البغال وينتقل بها من بلد لآخر.

ومن المؤكد أن المجذوب قد قام في وقت لاحق برحلة إلى مكة،بجولة في بلدان المغرب،التي يبدو أنه كان واسع المعرفة بها،وقد وجدنا في هذا الوقت أيضا إلى أن المجذوب احتمال أن يكون زار لأوراس وهذا ما نلمحه من خلال ما قاله:

الأوراسي يفهم بالدبزة و القبايلي بالدفرة والعربي بالغمزة

فنفهم من خلال قراءتنا لما سبق قوله أن المجذوب يورد تشبيها غريبا يجمع فيه بين الأسرتين الأمازيغيتين الأوراس والقبائل فهو يرى بأن الإنسان الأوراسي لا يفهم إلا باستعمال أساليب القوة كالضرب وما شابه ذلك و الإنسان القبائلي شأنه شأن

(1) الليـة:الذ نب إن كان فيه لحم و شحم ومن الناس من يستحسن أكل الإلية لما يجده فيها من اللذة.

(2) نكاس الحران والبغل حيوان أهلي معروف بكثرة العناد.

الأوراسي فهو لا يستوعب بسرعة فهو صعب الفهم هذا ما يجعلهم متشابهون في صعوبة إدراك الأشياء وفهمها أما العربي فهو مخالف لهم تماما بحيث أنه سريع الفهم و الاستيعاب بحيث أنه يفهم بمجرد التلميح بأبسط الأشياء كالإشارات وغير ذلك فيصح أن نقول عليه بأنه لبيب و اللبيب بالإشارة يفهم.

ويضرب المجذوب صوب الشمال،فنقف على آثاره في بلاد سوف التي جاءنا بتصوير لأهلها ولباسهم وأسلوبهم في العيش،وما هم فيه من الفقر حيث يقول الشاعر في أربعة أشطار صغيرة:

آش هو بلاد سوف
أرض العطش والجوف
كسوتهم شعر وصوف
وعيشتهم لقمتين وينوضوا وقوف[1]

الشاعر من خلال هذه الأبيات يصور لنا أهل بلاد سوف وأسلوبهم في العيش وماهم فيه من فقر فهم لا يشبعون حتى لقمة العيش بسبب الأوضاع الاجتماعية المزرية التي يعانون منها من خلال موقع هذا البلد باعتباره صحراء قاحلة تفتقر لجل شروط الحياة من الناحية الاقتصادية وكذا الاجتماعية مما ينعكس سلبا على أهل هذه المنطقة المعزولة هذا ما نلمحه من خلال التصوير الاقتصادي والعرقي والجغرافي.

ويسير المجذوب إلى الشمال صوب تونس،فيصب جل هجائه على قبيلة الفراشيش هاته الأخيرة أقوامها أتقياء لكنهم فقراء،يتعاطون زراعة الحلفاء،ويتعاطى أفضلهم تربية الجمال والخيول،ويضطرهم نمط عيشهم إلى نوع من السكن متفرق وخفيف.وهذا ما نستفيده من هذا الهجوم العنيف من المجذوب عليهم:

بر الفراشيش[2]

شيش بن شيش
كلامه اتهنتيش
وأعماله تفرتيش

(1) المصدر السابق،ص33

(2) الفراشيش:هي مجموعة عرقية كبيرة تعيش بين جبال قصرين وتالة فريانة.

ويواصل الشاعر طريقه إلى تونس،فيمر ببلاد قبيلة الدر ود الكبيرة،التي كانت تحتل وقتها بلاد سيرسو التونسية وهي على شيء من الشبه ببلاد سرسوالجزائرسة في السهول العليا لتيارت،وأما الدر ود فهم فرسان صناديد،محبون للضيف أشبه ما يكونون بالقبائل الفروسية الكبيرة في الجنوب،غير أن بلادهم توجد في وضعية حرجة،بين عوالم شديدة الاختلاف عنهم،لأن الحدود التونسية ليست موقع جغرافي،وعليه فهم يشغلون مركزا رئيسيا بين الجزائر وتونس.

يبدو كذلك أن المجذوب عرف الجزائر في وقت لاحق،ذلك بأن رباعيته مما تناقلته الأفواه في هذا البلد،وتنسب إليه،وفيها ذكر لمآثر خير الدين البحرية:

خير الدين فحل و شاطر
يا موسعه بخاطر
اردم باب البحر
وبنا عليه القناطر(1)

إن مما يبعثنا على الاستغراب،أن نرى أشعار المجذوب جاءت على صورة من النظم يغلب عليها الطابع الجزائري،أكثر من الطابع المغربي.فهل ينسب هذا الأمر إلى هذا النظم الذي ليس من الشعر الفصيح،ويتعالى على الدارجة المحلية،أم ننسبه إلى الإعجاب و التقدير اللذين كانا من الجزائريين برباعيات المجذوب،ما جعلهم يظلون محتفظين بها في ذاكرتهم،وأنهم صاروا،مع توالي القرون،يسبغون عليها من المسحة الجزائرية.

ليس ببعيد أن يكون المجذوب أقام طويلا في الجزائر،فنحن إذا نظرنا إلى حياته التي لا نعرف منها إلا القليل وقارناها بحياة أخرى نعرف عنها الشيء الكثير من المعلومات التاريخية لشخصية سبقت المجذوب بقرن من الزمان،ونعني بها شخصية عالم الاجتماع ابن خلدون،لرأينا أن حياتهما سارت في ما يشبه التوازي.

(1) المرجع السابق،ص35.

I 3 –من أقوال الشاعر:

تعتبر أقوال شاعرنا المجذوب ذات أهمية كبيرة في حياة الناس نظرا لما تحمله من معاني رائعة ومفيدة ناتجة عن تجارب دينية ودنيوية كثيرة وتعامل مع الناس بمختلف أجناسهم،كما أنها جزء مهم وثروة كبيرة من جملة التراث الأدبي العامي و الإفريقي،فالمجذوب بحكم تجاربه الكثيرة في حياته أراد ألا يحرمنا مما جرب وتعلم من حوادث زمانه،فقد كان يردد هذه الأمثال والحكم لإفادة الناس ونصحهم وإرشادهم،فقد كان يلقي هذه الأمثال بلغة التحدث والتخاطب لكي يفهمها جميع الناس بمختلف مستوياتهم،كان يلقيها في المناسبات للتربية والتعليم و النصيحة و الموعظة الحسنة،ولم

تبقى هذه الأمثال على ما كانت عليه بل طرأت عليها تغييرات أثناء القرون التي مرت عليها فتغيرت بعض الشيء على مر هذه القرون.«ونجد الشيخ أبو المحاسن والشيخ المهدي الفارسي المتوفى سنة1109 قد كتب كتابا اسمه ابتهاج القلوب وهو نسخة مخطوطة كما رويت أقواله بروايات كثيرة مختلفة فيها بعض من التغيير المحسوس في المعنى،وهناك مؤلفات المستشرق الفرنساوي أنري ذو كاكا،والمرحوم الشيخ محمد بن شنب وغيرهم،وقد تطورت هذه الأقوال الآن في سردها،وأدخل عليها بعض المغنيين الشعبيين ألحانا فصارت تغنى في حفلات وأعراس ومهرجانات،ويقومون بأدائها على شكل معان في الغناء والطرب،وكذلك يقوم البعض الآخر بالحكي عنه للناس و الاستفادة من تجاربهم بهذا الكلام الموزون»[1].

---

[1] الموقع الالكتروني ملتقى النخبة www.al.nukhba.ly.shothread

II موضوعات الحكمة

الرباعيات و الأمثال التي جاء بها المجذوب لا تزال جارية على الألسن منذ أربعة قرون في أقطار المغرب العربي،تتألف أشعار المجذوب من مصراعين مقفيين،في لغة ليست هي بالدارجة ولا الفصيحة،وإنما جماع منهما كما هي لغة الملحون.

وقد باتت هذه الأشعار اليوم يتغنى بها المغنون والمتسولون في الساحات العمومية في بلدان المغرب،وتتناقل في الدروب،ويعرف بها المتعلمون،وهي جزء من الميراث الروحي والثقافي لمنطقة شمال إفريقيا،كما هي أشعار عمر الخيـام جزء من التراث الفارسي.

1 -الموضوعات الدينية:

يميل الشيخ بحكم تصوفه إلى القول الديني أو الصيغة القولية الشعبية الملتزمة بالدين على الرغم من أنه يشطط في الرباعيات على طريقة الشاطحات الصوفية.

يقول المجذوب:

يا سايلني على القرن التلطاش أكحل ما فيه مارة
الكسوة كسوة مسلمين والقلوب قلوب نصارة[1]

إن الملفت للانتباه في هذه الرباعية هو الحديث عن القرن التلطاش الذي يوافق رقم التشاؤم عند النصارى 13 لاعتقاد فاسد يتعلق بموت أحد الحواريين الذين كانوا مع سيدنا عيسى،والجميل أن الشاعر الشعبي يوظف الرمزية التشاؤمية في صيغة تساؤلية«ياسايلني»وهو يقصد بذلك يا من يسأل على حال الناس في هذا الزمان المشئوم ويزيد من حدة التشاؤم ويضيف «أكحل»وهذا أيضا لون تعلق بالتشاؤم والحزن «وما فيه مارة»أي ليس فيه حسن يعلم به،فهذا الزمن ليس فيه إلا الظلم والظلام و الأسى

والحزن،ونلمس من تكثيف رمزية التشاؤم والتهكم التي جاء بها الشاعر العمق الدلالي والفني الذي يتميز به المجذوب فلم يصرح بتهكمه ولكنه ظاهر من خلال صيغة التساؤل يا سايلني والتشاؤم في رمزيين العدد 13 +اللون الأسود.

(1)محمد كمال مكاوي،ديوان الشاعر الطالب قدور، 2007 ،ص32

وضح لنا حال الناس في زمانه وما هم عليه من تناقض صارخ على الرغم من مظاهرهم الإسلامية في لباسهم،كما يذكر لنا الكسوة كسوة المسلمين ولكنهم ضالون وصفهم بالنصارى وهم أهل الضلال فقلوبهم على غير هدي الله ويستقي هذا من قوله تعالى في سورة الفاتحة:«....غير المغضوب عليهم ولا الضالين»فقلوب الناس في زمانه ضالة عن هدى تعاليم الإسلام وهذا التقابل الضدي الذي أورده لنا يبين لنا مدى التناقض الكبير بين ظاهر حياة الناس بتدينهم وخفاياهم،وهو بذلك يقدم لنا حكمة واضحة وهي الالتزام بالدين ظاهرا وباطنا وأن لا تكون أشكالنا مخالفة لخبايا قلوبنا.

وهذا يوافق قول الشاعر مبارك جلواح حين يقول:

ودهر يلاقيني بكل مهند مقيل وألقاه بظفر مظلم

إذ صور لنا صورة الصراع غير المتكافئ مع الدهر والأقدار التي تمتلك جميع صنوف السيوف وهو لا يملك غير إصبع من غير ظفر وشتان بين المتصارعين.

حيط الرمل لا تعاليه يعلى يرجع لساسه
ابن الغير لا تربيه يكبر يرجع لناسه
ألي يركب أشبه طرز الذهب في لجامه
إلي يدور الحق يدير هراوة في حزامه
من خالط الأجواد جاد بجودهم ومن خالط الأرذال زاد عناه
من جاور برمة تطلى بحمومها ومن جاور صابون جاب نقاه

2-الموضوعات النفسية:

لا نلبث أن نجده،في هذه الفترة كذلك يصور حالته الحزينة في كلمتين:كبلوا الجمل.وتنقل إلينا الروايات الشفوية التونسية عنه شكاة يشبه فيها نفسه بأسد قد حوصر من كل جانب،وهو يترنح خائفا من خيال خنفساء(1):

يــاناس قلبي تعمــر
ومـا صبت لمن نعيده

(1)محمد كمال مكاوي،ديوان الشاعر الطالب قدور2007 ص34

عادته لناس تأخر الزمان
في كل كلمة يزيدوا
أنا اللي كنت فضة
وليت نحاس
وبدلت عقلي بهبالوا

إن الطريقة التي كان الغرباء وأبناء السبيل يقذفون بها،سواء على تلك المواضيع الجزائرية أو على مكناس التي تكهن المجذوب بنهبها من قبل أن تتعرض للهجمة

السعدية قد صيغت على منوال واحد على ألسنة شهود التقاليد الضاربة في القدم التي أمكننا سماعها،سواء منها الجزائرية أو المغربية.فتلك الروايات تفيدنا أن الشيخ كان يمشي راجلا،أو على ظهر بغل،في الجبل المطل على مدينة من المدن،يرافقه جمع من المستمعين له من الأماكن التي يمر بها،وأنه كان يتوقف فجأة،فيصوب بصره ثم ينخرط في تأمله ويغشى بصره،ثم يرفع ذراعيه مستقيمتين،ويقرن السبابة إلى الإبهام،ثم يفرج بينهما فجأة،ويقذف بهجائه أو نبوءته في وجه تلك المدينة.

والمتأمل في بعض الأشطار من رباعيات المجذوب يخيل إليه كذلك،أن شاعرنا قد عرف بعض البلدان الرومية،تراه يكون يلمح إلى المحنة التي ابتلى بها أبناء جلدته الأندلسيون،النازحون من إسبانيا في مطلع القرن السادس عشر، وما وجدوا من صعاب جمة في الاندماج في منطقة شمال إفريقيا،أم أن الأمر لا يعدوا الإشارة إلى المناطق الساحلية من المغرب،التي كانت يومها مناطق محتلة من الأوربيين،إننا نتذكر أن صاحبنا كان هو بنفسه فر،وهو طفل من طيط للالتجاء إلى مكناس،وأيا مايكن فإن شكاته كانت آية في المرارة.

مثلث روحي لتبيب في كل شجرة ينادي[1]
يعيط يا قلة الحبيب يا خروجي من بلادي

[1] التبيب:يسمى في اللغة العربية بالهدهد وهو من الطيور التي تسكن في فصل الشتاء بإفريقيا وفي الربيع والصيف بأوربا وهو معروف بعزلته والانفراد عن أبناء جنسه.

إن اختيار الشاعر لهذا التشبيه لما يبعث على الكثير من الحزن،فالهدهد حسب الاعتقاد الشعبي،طائر يعيش وحيدا بسبب نفسه الكريه،فهذا يجعل الجناس القائم في (تبيب/حبيب) غاية في المرارة والإيلام.

وليس ببعيد أن يكون الشاعر الأعمى قد عاد بمخيلته إلى العصور السالفة ليتمثل فداحة الآلام التي كابدها المهجرون،الذين وعدهم الرسول محمد بالجنة،هو الذي قرن الشهيد في النفي بالمجاهد الشهيد.

يـاصـاحب كـن صبـار أصبر عـلى مـا جـرى لك
أرقـد عـلـى الشـوك عريـان حتـى يطلـع نهـارك

3 –الموضوعات السياسية:

وأمام ضعف الدول المغربية (السعودية والزيانية والحفصية) التي عجزت عن صد التحرشات الإسبانية التي نجحت في احتلال الجزائر مرسى الكبير،جزيرة البنيون بمدينة الجزائر،بجاية توجب على الأهالي الاستنجاد بالأتراك العثمانيين من أجل الدفاع عن دار الإسلام في جناحه الغربي،تلك هي الخلفية السياسية القاتمة التي عاش فيها الحكيم عبد الرحمان المجذوب[1].

لقد أضاف أهل زمانه إلى اسمه عبد الرحمان بن عباد بن يعقوب بن سلامة الصنهاجي الدكالي،وكان يؤدي ما نسميه اليوم بدور المثقف في إطار مفهوم القوال الذي يصدع بحكمته في الأسواق والحارات ومناسبات الولائم والمآتم،ولم يكن يجامل أحدا أو يصانع حاكما لأن واجبه هو تنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين:

عيطت عيطة حنينة فيقت من كان نايم
ناضوا قلوب المحنة ورقدوا قلوب البهايم

أكد عبد الرحمان المجذوب أن صلاح الأمة في صلاح حكامها وأمرائها،وقد تألم لانحرافهم إلى حياة المجون والخلاعة والتباغض والتناحر،ولم يتعظوا من درس الأندلس،فقد دفع حب السلطة والتشبث بالحكم إلى الاستنجاد بالعدو الإسباني في تناحرهم مع إخوانهم من أجل الكرسي.وفضلا عن ذلك أثقل الحكام كاهل العامة

(1) البهايم:هي الحيوانات مثل الحمير والبغال.

بالضرائب،وضعفت الدول حتى صار نفوذها لا يتجاوز حدود العاصمة في غالب الأحيان،الأمر الذي أدى إلى إضراب الأمن،حتى عم الخوف وتقلص العمران جراء الاضرابات واللصوصية التي كشرت عن أنيابها.أما العلم فقد تراجع فغاب الإبداع وصار طلاب العلم يتنافسون على تلخيص وشرح أعمال السلف،وقد علق المجذوب على هذا الوضع السياسي المتميز بالركود برباعية يحمل فيها الحكام مسؤولية ما حدث حين قال:

تخلطت ولا آبت تصفى ولعب خزها فوق ماها
رياس على غير مرتبة هما أسباب خلاها(1)

تحدث أيضا عن نصافة الرأي ذاكرا أن اللبيب من يملك الفراسة التي تجعله يتوقع الأمور ويحتاط لها قبل وقوعها،خاصة لمن يتبوءون مناصب المسؤولية،فمن واجبهم أن يستشرفوا الآتي بما لديهم من معطيات ومؤشرات،فقال:

الشواف يشوف من قاع القصعة والغربال تشوف منه قاع الناس
والكيس يعفس على راس اللفعة والعوام يعوم بحر لا يقاس(2)
سافر تعرف الناس وكبير القوم طيعه كبير الكرش والراس بنص فلس بيعه

(1) خلاها:أي خرابها واختلال نظامها من بدايته إلى نهايته
(2) لا يقاس:لا تعرف حدوده وأطرافه وأبعاده من طول وعمق

خـاتـمـــة

يبدوا أن الحكمة ضالة الإنسان أينما كان وحيثما حل وعلى اختلاف المستويات و الأعراف،هذا ما لمسناه من خلال هذا البحث المتواضع،فالحكمة كما بدا لنا من رباعيات الشيخ المجذوب أمر حياتي ا مناص من التعامل معه وفي شتى الميادين وقد وجدنا أن الشاعر الشعبي البسيط يستعمل تشبيهات ومقارنات من وحي بيئته تتلاءم ومستويات الناس الذين يعيشون معهم.

إذن فالحكمة عند الشيخ المجذوب لم تكن هدفا بحد ذاتها بل كانت تنفيسا عن الصراع النفسي المرير الذي عاشه الشاعر والظروف القاسية التي حرقته وجعلته يحترف القول الحكيم،في شتى الميادين السياسية،الفكرية،الفلسفية،الدينية والاجتماعية...الخ ويلامس المستوى التصويري للحكمة عند المجذوب كل الصور والميادين الحياتية ولكن الطابع الفلسفي والنقدي الملازم للرباعيات والإيقاع الرتيب والألفاظ العامية البسيطة المفهوم من طرف الجميع هي سبب شيوع مثل هذا النظم في المجتمعات العربية و المغربية بصفة خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور،**لسان العرب**،دار الصادر بيروت/لبنان،مجلد11،ط3.
2- سويقات أمين،**مواويل الشوق والأمل** ديوان شعر شعبي.
3- بطرس البستاني،**أدب أدباء العرب والجاهلية وصدر الإسلام**،دار هارون عبود،بيروت،ج1.
4- مسعود بن رامي،**الكنز المغمور في الشعر الملحون** دت،دط.
5- عبد الرحمان الرباحي،**من الرباعيات المستوية إلى الشاعر الشعبي المغربي سيدي عبد الرحمان المجذوب**،ط1، 2002
6- محمد كمال مكاوي،**ديوان الشاعر الطالب قدور**،2007 ،دت،دط
7- مدونة أشعار **العكاظية العاشرة لشعر الشعبي**.
8- يمينة مشري،**بستان الحكمة**،دت،دط
9-أحمد أمين،**فجر الإسلام**،مكتبة النهضة المصرية،ج1،القاهرة.
10- بن عبد ربه أحمد،العقد الفريد،دار الكتاب العربي،ج2،بيروت
11- ناصف أميل **من أروع ما قال الشعراء الحكماء**،دار الجيل بيروت.
12التلي بن الشيخ،**منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**،المؤسسة الوطنية للكتاب.

13-جابر نصر الدين،**مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي**،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر 2006.
14-جلول يلس،أمقران الخفتاوي،**المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون** الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
15-جوزيف نعوم حجار،**المنجد في الأمثال والحكم و الفوائد اللغوية**،دار المشرق،بيروت.
16-حنا الفاخوري،**الجديد في الأدب العربي**،دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر،ج4،بيروت.
17-عبد الحميد بوارين،**الأدب الشعبي الجزائري**،دار القصبة للنشر،دارسة الإشكال والأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر.
18- دحو العربي،**الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى**،المؤسسة الوطنية للكتاب ج1 1989.
19- دحو العربي،**الشعر الشعبي ودورة الثورة التحريرية الكبرى**.
20- دحو العربي،**بعض النماذج الوطنية في الشعر الشعبي الجزائري الأوراسي خلال الثورة التحريرية**،ديوان المطبوعات الجامعية،1986.
21-محمد الفارسي،**الأدب العربي و نصوص المتنبي**،مكتبة الرشاد،ج6.
22-ناصر صبار،**محمد بلخير شاعر الحكمة و الحرب**،دار الغرب للنشر و التوزيع.
23-يسري سلامة،**الحكمة في شعر المتنبي**،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط1،الإسكندرية.

المواقع الالكترونية:

1-الموقع الالكتروني **http:/ Imunbar ap-islam.com**
2-الموقع الالكتروني **www.al.nukhba.ly.showthread**

الفهرس:

مقدمة:
تمهيد:
الفصل الأول:
المبحث الأول:ماهية الحكمة
1-تعريف الحكمة المثل القول السائر.....2
2-خصائص ومميزات الحكمة.....4
3-أنواع الحكمة.....5
4-الحكمة عند العرب وتطورها عبر العصور.....6-11
المبحث الثاني:الحكمة في الشعر الشعبي و موضوعاتها
1-الحكمة في الشعر الشعبي.....12
2-موضوعات الحكمة في الشعر الشعبي.....13-17
الفصل الثاني:البناء الفكري للحكمة في الشعر الشعبي.....19
المبحث الأول:الأسباب العامة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري
1- الأسباب الفكرية و النفسية.....19-22
2- الأسباب الدينية و اللغوية.....22-25
المبحث الثاني:الأسباب الخاصة لقول الحكمة في الشعر الشعبي الجزائري
1- الأسباب التاريخية.....25-31
2- الأسباب النفسية والاجتماعية.....32-35
الفصل الثالث:نماذج تطبيقية من رباعيات المجذوب
المبحث الأول:تعريف الشاعر ورحلاته.....37
1- التعريف بالشاعر.....37
2- رحلات الشاعر.....38-40
3- من أقوال الشاعر.....41
المبحث الثاني:موضوعات الحكمة.....42
1- الموضوعات الدينية.....42-43
2- الموضوعات النفسية.....43-45
3- الموضوعات السياسية.....45-47
خاتمة:.....48
قائمة المصادر والمراجع.....49